البعث الإسلامي

ربيع الثانى
١٣٨٩هـ
يوليو ١٩٦٩م

هتافنا
إلى الإسلام من جديد

العدد العاشر
المجلد الثالث عشر

تصدر : فى ندوة العلماء لكهنؤ (الهند)

Phone 27945 Regd. No. L. 1692
ALBAAS-EL-ISLAMI
Nadwatul Ulama, Lucknow.(India)

المسلمون و قضية فلسطين

يصدر قريباً

بقلم : سماحة الأستاذ السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى

قد سبق لمؤلف هذا الكتاب أن يبحث فى هذا الموضوع قبل وقوع هـذه المأساة فى شكلها النهائى بعدة سنين . و جرت على قلمه و على لسانه بعض الحقائق التى تحققت فيما بعد ، ثم وقعت الواقعة فجعلها موضوع تفكيره و بحثه و كتاباته . حاول فيها أن يكون كل ذلك تصويراً للواقع من غير مبالغة و صناعة ، و من غير تفاؤل وتشاؤم .

أضاف إليها مقالا ضافياً جديداً كخاتمه الكتاب تحت عنوان

الفتح للعرب المسلمين .

أشاد فيـه بكفاءة العرب المسلمين و مواهبهم و تنبأ فيه بالفتح المبين لهذه الأمة الخالدة التى خرجت من كل معركة ظافرة منتصرة ، رافعة الهامة ، موفورة الكرامة ، و ستخرج باذن الله من غمار هذه المعركة الدائرة كما خرجت فى الماضى ، ولنهم لهم المنصورون و إن جندنا لهم الغالبون .

الناشر
الدار الكويتية للطباعة و النشر الكويت

Printed by S. M. HASANI at Nadwa Press, LUCKNOW

البعث الإسلامي

شهرية إسلامية جامعة

الاشتراكات

في الهند و باكستان . عشر روبيات - ثمن النسخة روبية واحده
في العالم العربي : جنيه و ربع (استرليني) (بالبريد العادى)
« « جنيهان و نصف (استرليني) (بالبريد الجوى)
في افريقيا الجنوبية والشمالية : جنيه و ربع (استرليني) (بالبريد العادى)
« « ثلاثة جنيهات و نصف « (بالبريد الجوى)

المراسلات

العنوان البعث الاسلامى ، دار العلوم لندوة العلماء لكهنؤ (الهند)
الهاتف : ٢٩٧٤٧ — ٢٢٩٤٨
برقية NADWA, LucknoW
الاشتراكات في باكستان ترسل إلى مجلة « البلاغ » دار العلوم كراچى رقم ١٤ باكستان

الوكالات

- مكتبة المنار الكويت
- مكتبة الآداب الرياض السعودية
- مكتبة النور طرابلس الغرب ليبيا
- المكتب الاسلامى ص ب ٣٧٧١ بيروت
- مكتبة الثقافة لدوحة قطر
- مدثرحسين الصديقى الجامعة الاسلامية المدينة المنورة السعودية
- الدار السعودية للنشر ص ب ٢٠٤٣ جده (السعودية)
- مكتبة دارالقلم بنغازى ليبيا
- مكتبة الحرمين ص ب ٥١١ الدمام (السعودية)
- مكتبة الأندلس ص ب ٤٦٤٥ كريتر - عدن
- محل قاسم سفيان ص ب ٢٤٢ تعز - جمهورية اليمن

شهرية أدبية إسلامية

البعث الإسلامي

العدد العاشر — المجلد الثالث عشر

ربيع الثانى ١٣٨٩هـ — يوليو ١٩٦٩م

رئيس التحرير : محمد الحسني

مدير التحرير : سعيد الأعظمي

موجز الفهرست

- التوجيه الاسلامى ص ٩
- الدعوة الاسلامية ص ٣٠
- اقتصادنا فى ضوء الاسلام ص ٤٥
- دراسات و أبحاث ص ٥٦
- الثقافة الاسلامية فى الهند ص ٦٥
- العـــالم الاسلامى ص ٨٤

(ندوة العلماء)

قامت ندوة العلماء على مبدء الجمع بين الدين الخالد الذى لايتغير و بين العلم النامى الذى لايتحجر، بين صلابة الحديد فى الثبات على العقيدة ، وبين نعومة الحرير فى اقتباس العلوم النافعة ، فبينما العالم الدينى فى عقيدته و عبادته جبل ثابت ، إذا هو فى علمه ودراسته و تقدمه نهر عذب جار ، و بينما هو فى نصوص الدين و عزائمه مرابط على الثغر و حارس للامانة ، إذا هو فى تفهيمه و دعوته جندى مهاجم و مسلح على أحدث طراز ، و بينما هو فى الأول لا يعرف الهوادة إذا هو فى الثانى لا يعرف الجمود ؟

الفهرس

ثلاثة دروس من الحوادث الأخيرة — سماحة الأستاذ السيد أبي الحسن على الندوى — ٣

التوجيه الإسلامي

مهمة التعليم والتربية فى الاقطار الاسلامية — » — » — ١٠
بقاء الدول المادية الكبرى على تخلى المسلمين — فضيلة الشيخ عبد الرحمن محمد الدومرى — ٢٣

الدعوة الإسلامية

شريعة كونية — الأستاذ الشهيد سيد قطب — ٣١
مكانة الجماهير فى الدولة الاسلامية — الأستاذ أمين أحسن الاصلاحى — ٣٩

اقتصادنا في ضوء الإسلام

روح التشريع فى الاقتصاد الاسلامى — الأستاذ محمد أبو السعود — ٤٦
تكوين جديد للاقتصاد الاسلامى — الأستاذ منظور الرحمن أحمد — ٥١

دراسات وأبحاث

الشعوبية الجديدة فصول فى التاريخ والسياسة — الأستاذ محمد مصطفى رمضان — ٥٧

الثقافة الاسلامية فى الهند

حالة الهند العامة فى هذه الفترة — الأستاذ عبد الحليم الندوى — ٦٦
تيبو سلطان — الدكتور السيد محمد يوسف — ٧٥

العالم الإسلامي

السما. . . والفضا. . . . — ٩٩

بسم الله الرحمن الرحيم

ثلاثة دروس من الحوادث الاخيرة

« محاضرة ألقاها سماحة الأستاذ السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى فى حفلة عقدت فى ثانوية طيبة بالمدينة المنورة ليلة الجمعة ٢٢ من صفر ١٣٨٩هـ (٩ من شهر أيار ١٩٦٩م) حضرها عدد كبير من المثقفين والعلماء وأعيان البلد، وعدد من أعضاء المجلس الاستشارى الأعلى للجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة، و قد نقل هذه المحاضرة من المسجل سعيد الأعظمى الندوى و تناولها صاحب الحديث بالتنقيح و التهذيب و حذف المكررات ».

الحمد لله و كفى و سلام على عباده الذين اصطفى.

أما بعد ! فانى أشكر الاخوان على إتاحتهم فرصة للتحدث فى هذه الأرض الحبيبة إلى كل مسلم فان كان الحديث واجباً دينياً و أداء رسالة فى كل مكان فهو غبطة و سعادة، و شرف ومجد فى هذا المكان المبارك.

إخوانى ! أريد أن أكون صريحاً معكم وأميناً فيما أقول، لاأقول إلا عن اعتقاد، و عن ثقة، و عن اقتناع، فان الثقة التى وضعتموها

فى شخصى الحقير فى المدينة المنورة وعيونكم الشاخصة المتطلعة إلى، وآذانكم المتهيئة لسماع حديثى لتفرض على أن أكون صريحاً معكم ، أن لاأجاملكم ، إن المجاملة مع أفراد الأسرة لم تجر بها العادة . فان الناس كلهم يحبون إخوتهم و أبناء أسرتهم . و أن الرائد لا يكذب أهله .

أسمحوا لى أن أصارحكم . و أن أفضى إليكم بما فى صدرى .

إخوانى ! إن مما أكرم الله به الانسان من المواهب و الطاقات هو انتفاعه بالتجارب التى تمر فى حياته ، هذه الثروة الكريمة التى أكرم الله بها الانسان هى التى شقت الطريق إلى الامام ، فى مجال المدنيـة ، و فى مجال العلم و فى مجال الصناعـة و الاقتصاد ، و فى مجال التوقى و الاحتياط و سلامة الروح و الشرف و الأعراض ، إن الانسان يتلقى دروساً من الحوادث العادية التى تمر به أو يمر بها كل يوم ، وكلما كان الانسان أكثر انتفاعاً بهذه الحوادث ، و أصدق استنتاجاً و أكثر تلقياً للدروس التى تنطوى فى هذه الحوادث ، كان أقدر على أداء رسالته ، و على المحافظة على كل ما يعز عليه من عقيدة أو دين أو شرف ، أو سلامة ، أوكرامة ، إن الطفل إذا مد يده إلى النار مرة وقد بدأ يعقل، و قطع مرحلة من مراحل الحيـاة فاحترقت أصبعـه فانه يتلقى من ذلك درساً خالداً ، يفهم أنه إذا مد يده مرة ثانيـة إلى النار فانها تحترق ، و أنه يتعرض لخطر عظيم ، فهذا هو علم الاستقراء ، و هو الانتقـال من الجزئيات إلى كلية تشمل هذه الجزئيات كلها . و هذا العلم هو الذى عاد بخير كثير على المدنية الانسانية و على التقدم فى العلوم و الصناعات و تعلمون جميعاً و أنتم دارسون للتاريخ العلمى أن الشوط الذى قطعتـه

أوربا فى مجال المدنية ، إنما كان بفضل الاستقراء بدل القياس .

ثمّ إن المؤمن هو المثل الكامل للانسانية ، و أن المفروض أن يكون فى ذروة من العقل السليم ، و أن يكون أكثر اتعاظاً بالحوادث التى يمر بها ويطلع عليها ويقاسيها ، وأن يكون أسرع تلقياً للنتيجة الصحيحة، و أن لا يعرض نفسه للتلف و الهلاك مرة بعـد مرة ، لذلك جاء فى الحديث الصحيح « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » لقد كان المتوقع من كل إنسان مستقيم الفطرة سليم العقل أن لا يلدغ من جحر مرتين أو أكثر من مرتين ، و لكن المتوقع فى الدرجـة الأولى من المؤمن الذى هو المثل الكامل للانسانية . و الذى تتجلى فيـه الانسانيـة بأروع مظاهرها ، و بأسمى معانيها و أفضل محاسنها ، لذلك قال النبى ﷺ : لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين .

و لما كان المنافق يحمل النفسية المضادة لنفسية المؤمن كان أقل انتفاعاً بالحوادث و بهذه الدروس القاسية فانه يعود للخطأ مرة بعـد مرة ، و قد قال الله تعالى : أو لا يرون أنهم يفتنون فى كل عام مرة أو مرتين ، ثم لا يتوبون و لا هم يذكرون » (١) و قال : « و إذا ردوا إلى الفتنة أركسوا فيها » (٢) فطبيعة المنافق الطبيعة المضادة للطبيعة الايمانية الواعية السليمة المستقيمة البريئة التى تتنبه بالحوادث و تفرض على صاحبها أن لا يعود إلى الخطر ، و أن لا يلدغ من جحر مرتين ، و لكن المنافقين هم ضد الفطرة السليمة ، لذلك ذكر الله تعالى عنهم ،

(١) سورة البراءة
(٢) سورة النساء

إنهم لا يتعظون بهذه القوارع و بهذه النكبات و بهذه الهزات العنيفة ، و بهذه الحوادث الأليمة ، و بهذه الأخطاء الفاحشة التى يتجرعون مرارتها حيناً بعد حين و يؤدون قيمتها باهظة غاليـة فى حياتهم ، إن خسارة الفرد بالثورة على هذه الفطرة السليمة وعدم اتعاظه بهذه التجارب هى خسارة الفرد ، فاذا كان الفرد صاحب مكانة مرموقة كانت خسارته بمقدار ما يتمتع به من زملائه وأسرته من مكان و من ثقة ، وخسارة الشعوب و الأمم — أيها الاخوان — بمقدار الشعوب و الأمم .

هـذه الحوادث الأخيرة التى لا تحتاج إلى تعليق أو شرح و إيضاح ، كلنا يعرفها و كلنا يتجرع مرارتها ، وإنى معكم بصفتى مسلماً أشارككم فى آلامكم و جميع ما تقاسونه .

هذه الحوادث الأخيرة إن كانت لها قيمة فقيمتها أن نتعظ بها ، وأن نتوصل بها إلى نتائج صالحة ثابتة لاغبار عليها ، إن هذه الحوادث التى أدينا قيمتها باهظة من شرفنا و كرامتنا و أراضينا والتى كانت أكبر نكبة نكب بها المسلمون فى التاريخ ، هذه الحوادث إن كان لها فضل ، و إن كان فيها جانب مشرق فان هذا الجانب المشرق هو انتفاعنا بما فيها من عظة ومن ذكرى و من دروس نافعة ، إنى لاأريد أن أسترسل فى تفصيل أسبابها ، و أن أرسل الكلام فى هذا الموضوع فانه موضوع مطروق متداول ، إنه موضوع كاد يمل .

إن أول نتيجة يجب أن نتوصل إليها هى أن القيـادات اللادينية قد أخفقت الاخفاق الذريع الشائن ، هذه هى نتيجة هـذه الحوادث ، و هذا هو الدرس الأول الذى ينبغى أن نتلقاه ، إن هـذه الحوادث

قد برهنت برهاناً ساطعاً لا يدع مجالا للشك على أن القيـادات اللادينية التى تسلطت على الشعوب العربية المسلمة قـد أخفقت فى تجربتها ، و إن كنت لا أراها تجربة ، إنهـا كانت عن تصميم ، عن عزم و إرادة عن تفكير و عن مؤامرات ، إنهـا لم تخفق فى حل قضية فلسطين فحسب بل قد أخفقت فى المحافظة على سلامة شعوبها و على كيـان هذه البلاد التى تسيطر عليها و حدودها .

كان لقائل أن يقول : اسمحوا لهذه القيادات التى تتأسس على التفكير التقدمى الذى يلائم هذا العصر المتطور المتمدن ، الذى لا يؤمن بالغيب ، الذى لايعتمد على ما لايراه ، واسمحوا لهذه القيـادات — بالمعنى الأوسع — أن تمثل دورها فى مجال السياسة فى مجال حل القضايا ، فى قيادة هذه الأمم ، وقدكان ذلك فقد سمح الله بأن تبرز هذه القيادات فى الميدان ، و أراد الله لحكمة يعلمها وهو العليم الحكيم أن تنشر كنانتها بأفضل سهام و أحد سهام ، و أقوى سهام صنعت فى أقوى المصانع ، لقـد أراد الله أن تتسلح هـذه القيادات بأفضل الوسائل التى يحلم بها البشر و يتحدث عنها التاريخ ، و أن تتسلح بالوسائل التى تسلحت بها أى قوة على وجه الأرض ، إن الله سبحانه و تعالى لم يمسك عنها و لم تضن قدرته الالهية بشئ مما كان يتمناه هؤلاء القادة من أحدث سلاح ومن أحدث طاقات ، ومن أحدث الأساليب وأقواها ، فى توجيه الرأى العام ، فى توجيه المعارف والصحافة وتوجيه المنظمات وفى توجيه الأفكار والفلسفات ، لقد أراد الله بحكمته التى لايعرفها غيره ولا يعرف عمقها ، أن تتمكن هذه الطاقات التى كانت ترشح نفسهـا لقيادة هذه الشعوب بأفضل ما حدث

فى هـذا العصر .

فأراد الله أن تعمل هذه القيادات عملها من غير مقاومة ومنافسة فى القيادة و يخلى لها الميدان ، و يطلق لها العنان لا يعوق سيرها شئ ، لقد فعل الله ذلك فتسلحت هذه الطاقات بأفضل ماعند القيادات العصرية من أسلحة و أنظمة و وسائل و كفاءة و ذكاء و عبقريات ، و لكن أخفقت هـذه القيادات الاخفاق الذريع الذى لا يوجد له نظير فى تاريخ الاسلام و المسلمين ، إذا تورعت عن أن أقول فى التاريخ الانسانى .

إن قادة اليوم الذين تزعموا هذه القضايا ، قضايا الشعوب العربية ، و قضية فلسطين ، إنهم أخيب قادة فى تاريخ البشر ، هذه قيادات تبرز فى الميدان ، و تثر كنانتها من غير توقف و من غير تردد و من غير حظر يفرض عليهم ، و من غير رقابة تسيطر عليهم ، وقد أخلى الميدان لهم و انفسح لهم المجال ، فماذا كانت النتيجة ؟ إنها كانت أفضل فرصة ذهبية ، لقد سنحت لهم فرصة لا تتيسر فى كل زمن لقيادة من قيادات الأمم ، لقد سنحت لهم هذه الفرصة الغالية المواتية ، لقد أخلى لهم الميدان وقد انسحب كل من كانوا يخافونه ، فماذا كانت النتيجة .. لقد ألصقت بالشعوب العربية عار الأبد الذى لا يغسله ماء سبعة أبحر ، هذا عار لصق بنا جميعاً نحن المسلمين و العرب بصفة خاصة ، لا أريد أن أسمى لكم القيادات قيادة قيادة ، فأنتم أعلم بذلك .. هـذا هو الدرس الأول ، الدرس الأساسى الذى يجب أن نتلقاه من هـذه الحوادث الأخيرة .

« البقية على ص ٨٥ »

قال الله سبحانه و تعالى :

« والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها و أنابوا إلى الله لهم البشرى ، فبشر عباد ، الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه . أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب »

التوجيه الإسلامى

بنوى

عن أبى موسى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : ما بعثنى الله به من الهدى و العلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكان منها نقة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، و كانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا و سقوا وزرعوا .

(حديث نبوى شريف)

مهمة التربية و التعليم فى الاقطار الاسلامية (٢)

★ سماحة الأستاذ السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى

إن التربية — أيها السادة — فى نظر هؤلاء القادة الذين يغارون على شخصية شعوبهم وذاتية بلادهم — لباس يفصل على قامة هذه الشعوب و ملامحها القومية و تقاليدها الموروثة ، و آدابها المفضلة و أهدافها التى تعيش بها . و تموت فى سبيلها : إنه لباس يجب أن ينسجم مع أجوائها و بيئاتها التى تعيش فيها ، و الآداب و العادات التى تحتضنها و التاريخ الذى تغار عليه ، والنماذج و المثل العليا التى تعشقها و تتغنى بها ، ونحن المسلمين بالأولى يتحتم علينا أن نجعل عقائدنا التى جاءت بها النبوة الأخيرة، و الدين الذى لم تعبث به يد التحريف و المسخ ، و لم يخضع لقانون التطور و الارتقاء ، كما خضعت له الديانات الأخرى و عدلتها و هذبتها التجارب ، كما دل على ذلك تاريخ هـذه الديانات و هى خاضعة لهـذا القانون ، و لهذه العوامل الانسانيـة دائماً ، و لا تتمتع العقائد عندهـا و لا الحدود الفاصلة بين الكفر و الايمان ، والدين والزندقة ، والتمسك و التحلل بالأهمية و السلطان ، كما تتمتع عقائدنا الدينية و ليس لديهم بين الكفر والايمان ما لدينا من خطوط فاصلة ، وحدود حاسمة وفوارق واضحة لا تسامح فيها أكبر شخصية ، و لا تراعى فيهـا أكبر مصلحة ،

فالديانات و العقائد فى أمم أخرى رقيقة مائعـة أحياناً ، مبهمة غامضة أحياناً أخرى ، وكذلك الشخصية الاسلامية فانها شخصية واضحة الملامح ، معلومة الحدود ، و الجزيرة العربيـة لا تشـارك الشعوب الاسلامية فى العقائد الدينية ، والشخصية الاسلامية فحسب ، بل إنها تنوء بأكبر أثقالها ، و تنهض بأعظم مسؤليتها من حيث هى الداعية الأولى لها ، والمحافظة الدائمة عليها ، فهى مصدر الدعوة الاسلامية و معقلها و مأرزها ، وقد جاء فى حديث صحيح (إن الايمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها) فنحن أولى بالغيرة على عقائدنا الدينية ، و شخصيتنا الاسلامية و رسالتنا الانسانيـة ، فى كل ما نأخذ و ما ندع ، و فى كل ما نبنى و نهدم ، و فى كل ما نقتبس و نتلقى ، من أى شعب و بلد فى العالم ، فنحن أولى بأن نفصل لباس التربية و التعليم و المناهج الدراسية والمواد العلمية على قامتنا و أن نخضعها أكثر من أى أمة و شعب لمبادئنا ، وأهدافنا التى نعيش لها ، والرسالة التى أكرمنا الله بها ، وكلفنا إبلاغها إلى الانسانية كلهـا ، فى كل عصر ، بقوله تعـالى : « كنتم خير أمـة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر و تؤمنون بالله » و قوله « و كذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس » فيجب أن لا نتناول العلوم و الآداب و المناهج التعليمية و نظريات التربية التى ظهرت فى الغرب والشرق على أنها آخر ما وصل إليه العلم البشرى، و أنها شئ يتحتم على الأمم الشرقية أخذه و تطبيقه على علاته و طبائعه ، و على ما التصق به من عناصر محلية أو عوامل وقتية ، بل نأخذها على أنهـا تجارب بشر يخطئ و يصيب ، و يمشى و يتعثر ، و يبصر و يعمى

و لا نأخذ العلوم و الآداب واللغات على أنها أشياء قد بلغت نهايتها ، و ختم عليها بختم لا يفض بل نأخذها على أنها مواد خامة ، و نصنع منها ما نشاء وفق حالتنا و حاجتنا ، و نفرغها فى قالبنا ، و نجردها مما اقترن بها — فى غير لزوم ولا مبرر — من عوامل الالحاد والافساد ، والاستخفاف بالقيم الخلقية ، ونأخذها نقية صافية مهذبة منقحة بل نطعمها بالايمان بالله و النظر العميق - المؤسس على الايمان — إلى الكون ، و هكذا نجعل العلوم و الدراسات كلها فى غير تعسف و لا إرهاق ، وسيلة للعلم و الحكمة و سبيلا إلى الايمان و المعرفة فتكون مصداقاً لقوله تعالى : « ويتفكرون فى خلق السماوات و الأرض ، ربنا ما خلقت هذا باطلا » و قوله تعالى « إنما يخشى الله من عباده العلماء » .

إنها أعظم تجربة فى العالم الاسلامى اليوم ، تقضى بها الظروف الحاضرة ، و يفرضها الصراع القائم بين العلم و الدين ، و بين الطبقة المثقفة الحاكمة ، و بين الجمهور المؤمن السليم ، و إن هذه الجزيرة — بما هيأ الله لها من الأسباب و أتاح لها من الفرص و قيض لها من حكومة انبثقت من دعوة دينية تدعو إلى الدين الخالص و تحكيم الكتاب و السنة و تفتخر بالانتساب إليهما — إن هذه المملكة لهى خير حقل و مجال لهذه التجربة المباركة .

و لم تعد التربية و التعليم غاية فى الأمم التى بلغت سن الرشد و استكملت الوعى ، و تحررت من رق العبودية و التقليد الأعمى ، بل أصبحت وسيلة . وقد كان العالم فى دور طفولته العقلية ينظر إلى أشياء كثيرة على أنها غاية و هدف ، ثم أصبح كل ذلك — مع تقدم العقل

البشرى و التجارب الطويلة — وسيلة لغاية ، فلا غرابة إذا كان قد نظر إلى التربية والتعليم و إلى المدارس و مراكز الثقافة و المكتبات ودور النشر باعتبارها غاية، ولاتزال هذه العقلية الطفولية شائعة مسيطرة فى الشرق، فنحن إذا علمنا عدداً كبيراً من أفراد الشعب فن القراءة والكتابة وإذا أسسنا عدداً من المدارس و الكليات فى بلد شعرنا بأننا قد أدينا الرسالة و حققنا الغاية .

و لكن الغرب الذى هام بالتعليم أكبر هيام و حمل رايته خفاقة فى العصر الأخير ، و اشتهرت أكثر دوله و أقطاره بالعلمانية و بالحياد تارة و بالالحاد أخرى لم يعد ينظر إلى النظام التعليمى و إلى المناهج التعليمية من حيث هى آلات صماء لتعليم القراءة و الكتابة و نقل المعلومات مبعثرة لا تربط بينها وحدة و لا تجمع بينها غاية ولا يسيطر عليها إيمان و عقيدة ، و لا تصل الجيل الحاضر بالماضى ، و الأبناء بالآباء ، بل بالعكس من ذلك أصبح ينظر إلى النظام التعليمى من حيث هو قنطرة تصل بين الحاضر و الماضى ، و الخلف بالسلف ، والمعلومات بالعقائد و تدعم العقيدة الموروثة بالعلم و المنطق ، و الدليل و الحجة ، و يعتبر هذا النظام التعليمى الذى ينفق عليه أكبر جزء من ثروته ، و أعظم قسط من مجهوده و أوفر نصيب من ذكائه ، عملية بناء وتكوين لا عملية هدم و توهين ، و وسيلة ثقة بين الأفراد و رباطاً بين الجماعات لا وسيلة ثورة فى الأفكار و اضطراب فى النفوس ، و تفكك فى العرى و القوى .

و هنا ثلاثة شواهد لثلاثة من قادة التربية و التعليم و أئمة الفكر

فى العالم الغربى المعاصر ، يقول (سيربرسى (نن ، Sirpercy Neinn) الذى يحتل الصدارة بين خبراء التعليم فى بريطانيا فى مقال له كتبه لدائرة المعارف البريطانية « لقد سلك الناس مسالك مختلفة فى التعريف بالتربية ، و لكن الفكرة الأساسية التى تسيطر عليها جميعاً : أن التربية هى الجهد الذى يقوم به آباء شعب و مربوه لانشاء الأجيال القادمة على أساس نظرية الحياة التى يؤمنون بها ، إن وظيفة المدرسة أن تمنح للقوى الروحية فرصة التأثير فى التلميذ تلك القوى الزوحيـة التى تتصل بنظرية الحياة ، و تربى التلميذ تربية تمكن من الاحتفاظ بحياة الشعب و تمديدها إلى الامام » .

و إن (جون ديوى John Dewey) الذى كان تأثيره فى نظام التعليم الأمريكى أكبر من تأثير أى رجل فى هذا العصر ، يقول فى كتابه (الديمقراطية و التربية Democracy and Education) إن الأمة إنما تعيش بالتجديد ، وإن عمل التجديد يقوم على تعليم الصغار إن هذه الأمة بطرق متنوعـة تكون من الأفراد الآمين ورثة صالحين لوسائلها ، و نظرية حياتها ، و تصوغهم فى قوالب عقائدها و مناهج حياتها ، و يقول البروفيسور كلارك (Prof Glark) مهما قيل فى تفسير التربية فمما لا محيص عنـه أنها سعى للاحتفاظ بنظرية سبق الايمان بها و عليها تقوم حياة الأمة ، و جهاد فى سبيل تخليدها و نقلها إلى الأجيال القادمة .

و على هـذه النقطة تضغط إسرائيل ضغطاً شديداً ، فهى من أشد الدول تمسكا بمبدء تقديم الفكرة الدينية و اللغـة التى تعبر عنها و تضم

ثروتها ، رغم جميع الاتجاهات التقدمية و مسايرة الدول الأوربية الراقية و توفر عدد كبير من البارعين فى العلوم العصرية و اللغـات الأجنبية ، وجاء فى كتاب التربية فى الشرق العربى « وضع الدكتور رودرك ماثيوز » و الدكتور متى عقراوى » (إن أهم ما يسترعى الأنظار فى المدارس الاسرائيلية فى فلسطين أن لغة الدراسة فى كافة المواد هى العبرية فيما عدا اللغات الانجليزية و الفرنسية و العربية و العناية شديدة فى جميع مراحل التعليم بالدراسة الدينية وجعل التعليم الدينى أساس الصهيونية وتقدمها) .

و يفهم مما يلى هذه العبارة أن جميع أنواع المدارس الاسرائيلية أو اتجاهاتها تبعاً للاحزاب التى ينتمى إليها آباء التلاميذ . رغم اختلاف هذه الأحزاب فى مثلها العليا التعليمية والدينية و السياسية ، تلتقى على هذه الفكرة الاساسية و تعنى عناية خاصة بالتربية الدينية ، ويرى بعضها أن التقاليد الدينية اليهودية هى النبراس الذى ينبغى أن تستهدى به نظم التعليم و يحتم بعضها على المعلمين أن يكونوا تقليديين ، أى أن يحرصوا على التقاليد اليهودية الأصولية . (١)

و جاء فى مقال (التعليم العـالى فى إسرائيل) فى مجلة فلسطين مقتبساً من الدراسـة التى قدمتها دائرة البحوث و الدراسات فى الهيئة العربيـة العليا لفلسطين ما يلى : (إن سياسة التعليم العـالى تهدف إلى تنمية العقيدة اليهودية و الولاء لها . بالاضافـة إلى الدعاية لاسرائيل و كسب الأصدقاء) و فى المقال تفاصيل هائلة عن العناية باللغة العبرية و جامعاتها و ميزانيتها و تمويلها و ما يبذل لهما اليهود من عناية فائقة

(١) راجع الفصل السابع عشر ، (المدارس الاسرائيلية و مناهجها) ص ٣٥٤ - ٣٥٥

و أموال طائلة و تنظيمات دقيقة .

وكان أساس هذا التفكير كلـه - الذى يجعل التربية وسيلة لتـدعيم العقيـدة و القيـم و المفـاهيـم التى يؤمن بهـا الشعب و تنميتها و إذكائها — أن الأصل هو عقيدة الأبوين و إرادتهما ، وأن لهم الحق الأول فى اختيار الوضع التعليمى لابنهما الذى هو قطعة من نفسهما ، و وارث أعمالهما و أحلامهما .

و قد جاء فى حكم محكمة الاستئناف فى ولاية بمبائى الهند فى شأن المرافعة التى رفعتها هيئة التعليم المسيحية فى بومبائى ضد حكومة الولاية ، و طلبها من المحكمة أن تمنع الحكومة من تعليم أبناء المسيحيين مالايرضاه آباؤهم ، فأصدر رئيس القضاة و قاض آخر الحكم الذى جاء فيه :

« الشئ الذى يتمتع به المواطن فى ديمقراطية و الذى له قيمـة كبيرة هو حرية الفكر ، و الذى لا يقبل جدلا و لا نقاشاً أن النظام السهل الساذج لضبط الفكرة هو الاشراف على نظام تعليم الشباب ... إن الحكومة ليس لها حق فى أن تقهر الابوين ليعلما ابنهما التعليم الذى ترى وحدها أنه التعليم الصـالح » و فى اعلان الحقوق الانسانية الذى تشترك الهند فى عضويته يوجد كما يلى : (المادة ٦ الرقم ٣)

الأبوان لهما الحق الأول فى أن يختـارا نوع التعليم الذى ينبغى أن يتلقاه طفلهما .

لذلك لما كان من حق الحكومة أن تجعل التعليم إجبـارياً و تهيئ الأسباب و المرافق لتلقى التعليم و تطبق منهاجاً خاصاً للتعليم فى مدارسها لا يزال للأبوين الحق فى أن يقررا هل يذهب طفلهما إلى هذه المدرسة

أو تلك المدرسة و أن يتلقى تعليمه فى هـذا الأسلوب أو أسلوب آخر » (١)

فاذا كانت الأمم الغربية التى ضعفت صلتها بالعقيدة المسيحية وانحلت رابطتها بالقيم الخلقية التى دعت إليها تعاليم المسيح عليه و على نبينـا الصلاة و السلام ، و ساد فيها الشك و الاضطراب و عدم الثقة بما يسمى حقائق و مقررات تنظر إلى نظامها التعليمى هذه النظرة الخاصة ، و تستخدمه لترسيخ العقيدة و تثبيت دعائم الحياة و إنشاء الانسجام بين الفرد و الجماعة ، و بين العقل و العـاطفة و بين المـاضى و الحاضر ، فكيف بالأمة الاسلامية والبلد الاسلامى العربى الذى لم يحدث فى تاريخه ما يسمى الصراع بين الكنيسة و العلم ، و الدين و الدولة ، ولا وجود عنده لنظرية فصل الدين عن السياسة ، و ليس الدين عنده قضية شخصية و الذى لم يكن فى فترة من فترات التـاريخ فريسة الالحـاد المتطرف ، و لا الردة الدينية الشاملة .

ثم إن الحربين العـالميتين الطـاحنتين اللتين قادهما الرجال الذين بلغوا ذروة العلم و الثقافة أثبتتا فى الماضى القريب إخفاق التعليم الراقى فى تكوين الأخلاق الصالحـة و احترام الانسانية و العدل مع الأمم و الشعوب الضعيفة ، و إن الجذام الخلقى الذى تجلى فى الشباب الجامعى فى أمريكا و أوربا و فى الهند و كثير من البلاد الشرقيـة ، و عبث المتعلمين بالقانون و النظام ، و انسياقهم مع رغباتهم الصبيانية وأغراضهم الخسيسة ، كل ذلك دل دلالة واضحة على أن التعليم ليس غاية فى نفسه ،

1 All India Reporter 1954, S. C. 561

بل هو وسيلة قد تنجح و قد تخفق ، و قد تنفع و قد تضر ، و قد تكون أداة بناء و تكوين ، و قد تكون آلة هدم و تقويض ، و إنها إذا تجردت عن عناصر الحصانة الخلقية و التوجيه الصالح و عن العقيدة السليمة و عن الوازع الخلق و الدينى ، فان ضررها أكبر من نفعها ، لذلك أصبحت التربية و التعليم و فن القراءة و الكتابة لا قيمة لها فى ذاتها عند كثير من قادة الفكر و أئمة التربية و التعليم فى العالم الغربى وأصبحت وسيلة تقوم بقيمة نتائجها و أخلاق حملتها و دورهم فى تكوين المجتمع و صيانته .

إن الدعاية الجبارة التى قامت فى بلادنا الشرقية و نشطت لتمجيد التعليم و لفن القراءة و الكتابة بتعبير أصح ، و ما ظهر من المبالغة والاسراف ، والخيال الشعرى فى قيمة الثقافة و التعليم العالى ، والتصوير البشع الذى صورت به الأمية فى كل حال ، و الازدراء و السخرية بالأفراد الذين لم تمكنهم الفرص من تلقى التعليم الجامعى ، كل ذلك أضفى على التربية و التعليم و على الثقافة نوعاً من القدسية و الروحانية ، و جعل الناس يغضون النظر عن حقائق كثيرة و عن عيوب و مواضع ضعف فى الطبقة المثقفة فى بلادنا ، و أصبح كثير من المغرورين يفضلون المتعلم المجرم اللئيم على الأمى المستقيم الكريم ، و يفضلون العصر الذى انتشر فيه فن القراءة و الكتابة و انتشر التفسخ الخلق ، والبلبلة الفكرية والتشكك فى المقررات والمسلمات والحقائق والبديهيات و تشاغل الناس فيه بأنفسهم و أولادهم و فقدت الغيرة الدينية و الخلقية وأصبحت المادة إله الجميع ، أصبح كثير من الناس يفضلون هذا العصر

على جميع علاته على عصر توفرت فيه جميع الفضائل الدينية و الخلقية على قلة نسبة المتعلمين وندرة المثقفين ، وانحصار فن القراءة والكتابة فى نطاق محدود ، و ما ذلك إلا لخضوع هؤلاء لهذه الدعاية السطحية التى استخدمت لتهويل شأن التعليم والشهادات العلمية . إنه تفكير سطحى يجب أن يترفع عنه أحرار الفكر و أصحاب الرسالة و المؤمنون بقيمة الأخلاق و الأعمال الصالحة و المميزون بين الوسائل والغايات .

لقد أثبت التاريخ مرة بعد مرة أن الشعوب التى تتخذ الوسائل غايات و العلوم و الفنون آلهة تعبد و يقوى فيها النظر و الجدل على حساب الخلق و العمل ، و يكثر فيها الافتتان (بالفنون الجميلة) وتضعف فيها الارادة و قوة المقاومة للغريات و وسائل الترفيه والتسلية وتضعف فيها الغيرة و الحمية ، و تعشق الحياة و الملذات ، و تنتشر فيها البلبلة الفكرية ، و ينتشر فيها التشكيك الشامل للعقائد و الآداب و الاستخفاف بجميع التقاليد والعادات التى كان فيها الشئ الكثير من القوة والصلاح، و يتطاول فيها الريب إلى مصادر الدين و مراجع التاريخ و إلى الشخصيات القديمة ، و الحوادث التاريخية و إلى الأعراف و العادات يقود هذه الحملة فيها كبار الأساتذة و حذاق الأدباء و نوابغ الباحثين و حملة الأقلام و منشئو الصحف ، و ينتشر هذا السم فى كل طبقة من طبقات الأمة و يتسرب إلى عقول الشباب و نفوسهم ، و يتغلغل فى أحشائهم ، فان هذه الأمة لا تثبت أمام أى عدو زاحف أو قوة مهاجمة ، و لا تثبت فى معركة يوماً واحداً ، و هذه قصة اليونان و قصة الرومان و ما يوم النكبة فى الشرق العربى منا ببعيد .

فلنكن واقعيين و لنحكم على التعليم الراقى و على الثقافة الغربيـة الحكم الصحيح الدقيق ، المؤسس على التجارب و الحقائق ، و لا ننظر إليها كالدواء الوحيد و لا ندن لها بالعظمة و التقديس ، و لنضبطها بعناصر و مقومات تنفى عنها عوامل الضرر والافساد ، و دواعى الزيغ و الالحاد و الاتجاه الزائد إلى الميوعـة و التحلل ، و الاضطراب و التشكك فى كل شئ ، ولنكيفها مع عناصر ثقافتنا وشخصيتنا الاسلامية و طبيعتنا العربية الشرقية ، و لنخضعها لرسالتنا العالمية الخالدة و مبادئنا و نجعلها جنداً من جنودها .

و أخيراً لا آخرا يجب أن لا نخطو خطوة فى سبيل التربيـة والتعليم و فى تصميم المدنية و فى سبيل أى مخططات نضعها لهذه الجزيرة حتى نعرف و نذكر أن هذه الجزيرة العربية التى نعيش فيهـا الآن و نتحدث عنهـا هى غرس محمد ﷺ ، و ثمرة دعوته و جهاده و له و لأصحابه و للمؤمنين بدعوته وحدهم الحق عليهـا ، فيجب أن يكون كل شئ يقوم فى هـذه الجزيرة — من تنظيمات و تصميمات و مخططـات و مؤسسات معترفاً بهذا الحق خاضعاً لهذا الأصل ، عائشاً فى هذا الظل و قـد كان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم حريصاً كل الحرص دقيقاً كل الدقة فى أن تبقى هذه الجزيرة حصناً حصيناً للاسلام متماسكة قوية بعيـدة عن كل اصطراع دينى و فوضى فكرية . فقـال (أخرجوا اليهود و النصارى من جزيرة العرب) و قال (لا يجتمع فى جزيرة العرب دينان) و قـد شملت هذه الوصية الحكيمة و التعليم العميق الدقيق اقصاء كل عنصر يحدث فى قلعة الاسلام و عاصمة محمد عليه الصلاة

والسلام الثورة و الردة و عدم الثقة بفضل الاسلام ، و خلود رسالته ، و عمومها للانسانية ، و انحصار السعادة فى العمل بها و النجاة فى قبولها و الايمان بها .

و (لا إكراه فى الدين) و تاريخ الاسلام لا يعرف محاكم التفتيش و وسائل التعذيب التى امتازت بهـا القرون المظلمة فى أوربا . و لكل واحد أن يختار لنفسه ما يحب من الآراء والنظريات ، و لكن لا يسمح بنشر الفوضى و بذر بذور الشك و الضعف و فقـد الثقـة بالمبادئ و الاسس الاسلامية ، فى هذه الجزيرة التى هى قلب الاسلام ، و لا يؤذن بنشر الدعاية للقوى المعادية و المنافسة و للعسكرات الأجنبية فى عاصمـة الاسلام و فى حصن الدعوة و فى ثكنة الجيش الاسلامى ، فمن لم تطب نفسه و لم ينشرح صدره للعقيدة الاسلامية و نبوة محمد عليه الصلاة و السلام ، و إمامته الخالدة العالمية و فضل تعاليمه ، و من آمن بالفلسفات الأجنبية، و اقتنع بها و تحمس لها فليس له محل فى الحقيقة فى هذه الجزيرة ولايجوز أن تتاح له الفرص وتهيأ له الوسائل فى توجيه العقول وتربية النفوس ولا يصح أن تقدم له أفلاذ أكباد هذه الجزيرة وخيرة شبابها ليصنع من هذه الفطر السليمة التى هى من أكرم ذخائر العالم الاسلامى و أنفس ثرواته و أكثرها استعداداً للنبوغ ، مصنوعات لا تنجسم مع العقيدة والدعوة التى قامت عليها و عاشت لها هذه الجزيرة منذ أكثر من ألف سنة ، و التى لا يزال العالم الاسلامى متطلعاً إليهـا متشوقاً لها ، بل لا يزال العالم الانسانى كلـه مفتقراً إليها مقدراً لها كل التقدير .

هذه خواطر و مشاعر أملاها الاخلاص لهذه الجزيرة و الحب لاخواننا العرب الذى أصبح جزءاً من أجزاء الايمان نابعاً من قرارة الضمير و الوجدان ، و إنى أطلب العفو و الصفح الجميل ، إذا كان فى هذه الكلمة صراحة بلغت حد المرارة و أساءت بعض الأساءة إلى شعور السادة الأجلاء الذين بذلوا جهدهم و لا يزالون فى سبيل توجيه التربية ، التوجيه الاسلامى و إنهاض هذه الجزيرة علمياً و ثقافياً ، ولا يدخرون فى ذلك جهداً ، فالنقد سهل والعمل صعب ، والتوجيه ميسور و التطبيق عسير ، و لهم من صاحب الحديث كل إحترام و تقدير و اعتراف بالفضل و فى مقدمة هؤلاء السادة و على رأسهم الوزير الفاضل و المسلم الغيور الذى هو فرع تلك الدوحة الكريمة السامقة التى أثمرت أعظم دعوة إلى التوحيد والدين الخالص ، فى عصرنا الأخير، و الذى هيأ له عاهل هذه البلاد جميع الفرص و الوسائل لتحقيق الغاية النبيلة ، و نشر التعليم الصحيح ، و وضع فيه ثقته الغالية .

نسأل الله جاهدين مخلصين أن يبارك هذه المساعى و يسدد الخطى، و يحقق المقاصد و الآمال ، و تعيش هذه البلاد دائماً فى ظل الايمان و الاسلام و الأمن و السلام .

★★

بقاء الدول المادية الكبرى موقوف
على تخلى المسلمين عن القيادة وعدم حملهم للرسالة

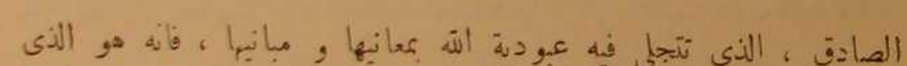

فضيلة الشيخ عبد الرحمن محمد الدوسرى

من المؤسف أن كثيراً من الناس يرى أن القوة هى الحصول على العدة الضخمة من العتاد الحربى أو كثرة الصناعات التى تغمر الأسواق أو ثروة المحاصيل الأرضية من منتوجات أو معادن ، فهذا هو قياسهم و يرون أن الذى يحصل على ذلك هو القوى الغالب ، الذى لايصارع، و لكن الحقيقة بخلاف ذلك ، فان الدول و الأمم لا تسود بالحديد و النار ، و لا تعلو بالمال و الصنائع ، إلا على أشكالها من الماديين (و إن الظالمين بعضهم أولياء بعض و الله ولى المتقين) .

و إنما السؤدد الصحيح و القوة التى لا تغلب ، تكون بالخلق الصالح المتين التماسك ، الذى يجمع أهله و يشد بعضهم إلى بعض فى هدف ربانى سماوى ، و ذلك لا يكون إلا بالدين الصحيح الخالص الصادق ، الذى تتجلى فيه عبودية الله بمعانيها و مبانيها ، فانه هو الذى يجمع أهله على التوادد و التراحم و يعطف بعضهم على بعض و يشد بعضهم إلى بعض ، و يقيهم مما طبعت عليه النفوس من الشح والهوى، و يمنع عنهم عناصر الفرقة و يقيهم من أسباب الفساد ، و يلهب حماسهم للقيام بواجب الله سبحانه من حمل رسالته و قمع المفترى عليه ، وتوزيع

أنوار هدايته والزحف بدينه المقدس ذات اليمين و ذات الشمال ، فيفجر طاقاتهم فى ذلك و يجعلهم يبذلون النفس و النفيس ، و يتعشقون الشهادة فى سبيل الله فيكون حرصهم على الموت أشد من حرص أعدائهم على الحياة .

ثم بصدق نياتهم مع الله و إخلاصها لله و طهارة جوارحهم و صلاح أعمالهم يستمطرون رحمة الله بمدد السماء و حصانته ، التى لا يغلبها غالب أبداً ، و هذه الحقيقة لا يفهمها إلا حملة الرسالة ، ، وقليل من المؤرخين ذوى الفكر الصريح المستقل ، أما كثير من الناس فانه تبهره ضخامة الدول المادية و ينضبع بها و لا يهضم كلامنا ، لأنه لم يحمل ما حمله أصحاب العقيدة و لم يمتلئ قلبه من تعظيم الله بدلا من تعظيم المادة ، فتعظيمه للمادة جعله يستصغر دينه و يكفر بذاته امامهم و لا يثق بربه أولا ثم بنفسه ثانياً ، لأنه نسى الله فأنساه الله نفسه ، ولو رجع إلى أسلافه الصحابة وجدهم على قلتهم و ضعفهم المادى ، صالوا صولة الأسود على أضخم دول الأرض فى كثرة العدد و قوة العدة الحربية ، و وفرة المال والكنوز فحطموها دون أن يستعينوا ببعضها على الآخر أو يتملقوا لبعضها ضد بعض ، بل صالوا على الجميع فى وقت واحد بقوتهم الروحية المستمدة من السماء لا من الأرض ، و كذلك القلة القليلة بمادتها التى غزت (أسبانيا و البرتقال) و المغرب الأقصى و ما وراءه لو كانت نظرتها كنظرة المسلمين المعاصرين و المحسوبين على الاسلام - نظرة مادية - لما فكرت فى غزو هذه الأمم و لكنها غزتهم بالنظرة الروحية و القوة الروحية التى لا يصمد أمامها الماديون .

و التاريخ يقرر أن الدول الكبيرة لا تضمر و لا تذوى و لا تنكمش و لكنها تنهار كما ينهار عمود الخشب الضخم ، الذى نخر السوس لبه ، فبهذا المثل انهارت الدول الكبرى أمام ضعفاء المسلمين فى المادة ، ففساد الأخلاق و الانغماس فى الترف و التمادى فى الأنانية ، هو الذى يجعل صورهم كالأشباح لا حقيقة تحتها - قشور لا لب فيها - و هذه الدول التى أجلبت على الناس و بهرت عقولهم بقواها المادية الضخمة، بقاؤها موقوف على عدم من يحمل الرسالة و يعيد الزحف الاسلامى المقدس الخالص لوجه الله ، ذلك الزحف الذى يقذف الله أمامه الرعب فى قلوب أعدائه مسافة شهر . فيجعلهم يستسلمون دون استخدام قوتهم تالله إن جولة الماديين فى الأرض كجولة الجرذان فى موقع خال ممن يفترسها .

إذا خلا الجو للجرذان فى وطن
استأسدت لا تبالى بالقراقيع

إن اليهودية العالمية تعلم أنه لا مرتع لها إلا فى التربة المادية المائعة ، و الأفكار الالحادية التى صاغتها على أيدى (دارون - وفرويد - وماركس - و انجلز - و تروتسكى) وغيرهم من ملاحدة الوجودية ، ليكون سير المعسكرين الشرقى و الغربى فى صالحها و تكون هى الفائزة مهما انتصر أحدهما على الآخر لأنهما أبناؤها قد تغذوا بلبانها و هى التى تسيرهم وفق ما تريد و توقفهم عندما تريد و هى المحرك الوحيد لهم بواسطة عملائها الذين يقبعون خلف (الكواليس) و ما الحكام والرؤساء البارزون إلا كواجهات لهم يدفعون بها كيف شاؤوا .

و لم تبق هذه الأوضاع سائرة على مخطط (اليهود) و لن تبقى إلا باستمرار الناس على إعراضهم عن عبادة الله بالمعنى الصحيح فماداموا هكذا فسيبقون مسخرين لجميع أنواع الوجود و ارقاء للتحكمين فيه ممن وصفناهم ، أما فى الوقت الذى يراجعون فيه دينهم أو يقوم فيهم شعب (فضلا عن أمة) يرفع لواء الاسلام ويعيد سيرته الأولى فان جميع ما أمامه لا يستحق أكثر من وصف الجرذان و لا بهولنك أيها القارئى مظاهرهم و تضخم قوتهم المادية فانها لا تتجاوز الاشباح الصورية أمام الحقيقة النبوية، و القرآن يقص على أتباعه خبر الناكلين عن دخول القرية و نصيحة الرجلين المسلمين لهما (أدخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون و على الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين) و لم يبق أهل القرية على جبروتهم و غطرستهم المادية الا بسبب موقف الجبن و معصية الله من مقابليهم الذين (قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها، فاذهب أنت و ربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون) .

و موقف المنتصبين على القيادات الاسلامية أمام الصور اليهودية ، وحديدها قريب من هذا الموقف إن لم يكن اتعس منه فعسى الله أن ينور بصائرهم و يبعث قيادة تجدد مجدنا و تعيد تاريخنا فانه لا يخيف اليهود سوى ذاك ولا يقمعهم غيره وما ذلك على الله بعزيز ، و اعتبر بالثورات التى يقوم بها نكرات فينجحون ضد من تحميه الدول الكبرى لأن المغامرة تحول مجرى السياسة و لكن الثورات يأكل بعضها بعضاً و تشقى بجحيمها الشعوب لكونها تسير وفق المخطط المادى اليهودى ، فما بالك بانقضاضة إسلامية يؤيدها الله ويحفظها من كيد أعدائها ؟ إنه فى الوقت الذى

يقيض الله للعالم انتفاضة إسلامية سالمة من الأنانية خالصة المقصد لوجهه الكريم ترى العجب العجاب ولكن لا يرفع النفوس من هاوية السقوط التى أوقعتها اليهودية فيه إلا تحقيق عبودية الله وفق طريقة نبيه ﷺ .

اختيار الله لعباده هذا الشعار العظيم المبارك (إياك نعبد وإياك نستعين) ليتدرعوا به و ينحصر عملهم و إخلاصهم له و تدوم صلتهم معه فينجون من عار الاباق و عظيم عقوبته و سوء نتائجه و آثاره لأن الانسان لا يكون عبداً لله المستحق العبودية إلا إذا كان ملازماً له قائماً بطاعته فى جميع أمره و نهيه فانه يكون بذلك مخلصاً صادقاً وفياً مع اقتران هذا بالمحبة و التعظيم و التشرف و التسليم و الاعتراف بفضل الله عليه والتقصير منه فى جانب مولاه ، وإذا نقصت طاعته لله واختل امتثاله كان عاصياً بحسب ذلك و تضخم معصيته على قدر كبرها أو الاصرار عليها فيكون عبداً لله تارة و عبداً للهوى تارة و بذلك يكون فيه هروب عن الله الرحمن الرحيم إلى عدوه الشيطان الرجيم بسبب نفسه الأمارة بالسوء الجانحة للشهوات العاجلة القاتلة ،

و إذا كانت المخالفة و المعصية مذمومة من الانسان لانسان مثله ممن يرتبط فيه بحكم أو وظيفة فكيف بمخالفته لربه مالك الملك ؟ و إذا كان الجندى الهارب من سيده خائناً مذموماً مستحقاً للعقوبة لأنه هرب من مربيه الذى علمه وأبرزه على غيره فكيف بمن هرب عن الله الذى رباه بجميع النعم و بوأه يرتع فى ملكه ويتخوض فى نعمه ؟ لا شك أن خيانته أعظم و جريمته أفضع و عقوبته أشد .

إنه حرام عليه و عار عليه أن يلتفت إلى غير الله أو يتلذذ بغير ذكر الله أو يتغنى بغير كلام الله أو يخضع لغير عظمة الله ممن سرقوا الجاه و السلطان فى الأرض ، حرام و الله عليه و عار عليه أن يلتمس نوراً من غير نور الله أو يسلك غير صراط الله الذى ارتضاه له ، حرام عليه و نقص فى عقله أن يطمع فى خير من دون الله أو يثق أو يطمئن إلى وعد غيره أو يخلط خدمة الله بخدمة غيره أو يدنس نفسه بطاعة غيره .

حرا وعار و شنار على من حل بأرض الله ورتع فى ضيافته أن يحب غيره أو يعظم غيره أو يطيع غيره فيما لايرضاه، حرام وعار على من سكن حرم الله أن يتعرض لمحارمه ، حرام عليه و عار عليه أن يحب أعداءه أو يبغض أولياءه أو يخذلهم و يوالى أعداءهم ، حرام عليه ونقص فى عقله أن يتعرض لسخطه .

حرام عليه و خيانة منه أن لا يغار لدينه و لا يغضب من أجله أو لا يتفانى فى سبيله ، حرام عليه و عار عليه أن يشغل قلبه بغير الله أو يحرك شيئاً من جوارحه لغير الله و أفضع من هذا وأشد عاراً من يستعمل نعم الله المتنوعة أو بعضها فى معصيته ، إنه لو لم يكن هناك جنة و لا نار فى الآخرة و لا عقوبات شرعية أو قدرية على هذه الأمور فى الدنيا لكانت عاراً و حراماً و نقصاً فى العقل وخيانة فى المعاملة و إباقاً عن المالك الملك الحق فكيف و على ذلك يترتب الجزاء الدنيوى و الأخروى ؟

لهذا ضراعة عباد الله المؤمنين إليه بهذه الآية الكريمة اختيار منه لهم فمن لم يحققها بصدق العمل كان آبقاً هارباً ، و إذا كان إباق العبد من سيده المخلوق كبيرة من كبائر الذنوب فكيف بالاباق من السيد الأكبر و المالك الأكبر ، قال البيتوشى فى نظم الكبائر —

كذلك الآبق من العبيد — إذ هو كفر جاء فى الوعيد
و أى عبد مات فى إباقه — لابد فى العقبى من احتراقه
ذا فى إباق العبد ممن خلقا — فكيف بالاباق ممن خلقا ؟
حتام عبد الله فى الاباق — و البعد عن سيدك الخلاق
إلام تلهو فى المعاصى وتنى — عن أمره ومعظم العمر فنى
حسبك ماضاع من الأزمان — فى اللهو و الاباق والدفان
فعد إلى مولاك بالمتاب — وناد بالذل على الاعتاب
يارب قد شبت ولست أرحم — شيبى فارحمه فأنت أرحم

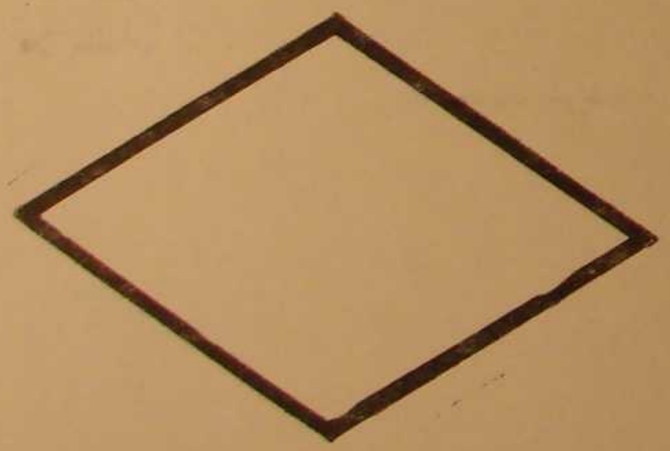

« و من أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً و قال إننى من المسلمين ، و لا تستوى الحسنة و لا السيئة ، إدفع بالتى هى أحسن ، فاذا الذى بينك و بينه عداوة ، كأنه ولى حميم .

« قرآن شريف »

الدّعوة الإسلاميّة

بمعنى

عن حذيفة رضى الله عنه عن النبى ﷺ والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف و لتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم . .

« حديث شريف »

شريعة كونية

★ الأستاذ الشهيد سيد قطب

إن الاسلام حين يقيم بناءه الاعتقادى فى الضمير و الواقع على أساس العبودية الكاملة لله وحده : و يجعل هذه العبودية متمثلة فى الاعتقاد و العبادة و الشريعة على السواء ، باعتبار أن هذه العبودية الكاملة لله وحده — فى صورتها هذه — هى المدلول العملى لشهادة أن لا إله إلا الله . . و أن التلقى فى كيفية هذه العبودية عن رسول الله — صلى الله عليه و سلم — وحده هو المدلول العملى كذلك لشهادة أن محمداً رسول الله . .

إن الاسلام حين يقيم بناءه كله على هذا الأساس ، بحيث تمثل شهادة أن لا إله إلا الله و أن محمداً رسول الله منهج الحياة فى الاسلام، و تصور ملامح هذا المنهج ، و تقرر خصائصه . إن الاسلام حين يقيم بناءه على هذا النحو الفريد الذى يفرقه عن جميع الأنظمة الأخرى التى عرفتها البشرية .. إنما يرجع إلى أصل أشمل فى تقريره عن الوجود كله ، لا عن الوجود الانسانى وحده ، و إلى منهج للوجود كله لامنهج للحياة الانسانية وحدها .

إن التصور الاسلامى يقوم على أساس أن هذا الوجود كله من خلق الله اتجهت إرادة الله إلى كونه فكان، وأودعه الله — سبحانه —

قوانينه التى يتحرك بها ، و التى تتناسق بها حركة أجزائه فيما بينها ، كما تتسق بها حركته الكلية سواء :

« إنما قولنا لشئ إذا أردناه أن نقول له : كن . فيكون » . . (النمل : ٤٠)

« و خلق كل شئ فقدره تقديراً » . . (الفرقان : ٢) .

إن وراء هـذا الوجود الكونى مشيئة تدبره ، و قدراً يحركه ، وناموساً ينسقه ، هذا الناموس ينسق بين مفردات هذا الوجود كلها ، و ينظم حركاتها جميعاً ، فلا تصطدم ، و لا تختل ، ولا تتعارض ، ولا تتوقف عن الحركة المنتظمة المستمرة — إلى ما شاء الله — كما أن هذا الوجود خاضع مستسلم للمشيئة التى تدبره ، والقدر الذى يحركه ، والناموس الذى ينسقه ، بحيث لا يخطر له فى لحظة واحدة أن يتمرد على المشيئة ، أو أن يتنكر للقدر ، أو أن يخالف الناموس . . و هو لهذا كله صالح لا يدركه العطب و الفساد إلا أن يشاء الله :

« إن ربكم الله الذى خلق السماوات و الأرض فى ستة أيام ، ثم استوى على العرش ، يغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً ، والشمس والقمر و النجوم مسخرات بأمره ، ألا له الخلق و الأمر ، تبارك الله رب العالمين » . (الأعراف : ٦٤)

و الانسان من هذا الوجود الكونى ، و القوانين التى تحكم فطرته ليست بمعزل عن ذلك الناموس الذى يحكم الوجود كله . . لقـد خلقه الله — كما خلق هذا الوجود — و هو فى تكوينه المادى من طين هـذه الأرض ، و ما وهبه الله من خصائص زائدة على مادة الطين جعلت منه

إنساناً إنما رزقه الله إياه مقدراً تقديراً ، و هو خاضع من ناحية كيانه الجسمى للناموس الطبيعى الذى سنـه الله له — رضى أم أبى — يعطى وجوده و خلقه ابتداء بمشيئة الله لا بمشيئته هو ولا بمشيئة أبيه وأمه — فهما يلتقيان و لكنهما لا يملكان أن يعطيا جنيناً وجوده — و هو يولد وفق النـاموس الذى وضعه الله لمـدة الحمل و ظروف الولادة . و هو يتنفس هـذا الهواء الذى أوجده الله بمقاديره هـذه ، و يتنفسه بالقدر و بالكيفية التى أرادها الله له ، و هو يحس و يتألم ، و يجوع ويعطش و يأكل و يشرب ، و يمثل الطعام و الشراب . . و بالجملة يعيش . . . وفق ناموس الله ، عفى غير إرادة منه و لا اختيار ، . شأنه فى هذا شأن هذا الوجود الكونى و كل ما فيه و كل من فيه ، فى الخضوع المطلق لمشيئة الله و قدره و ناموسه . .

و الله الذى خلق هذا الوجود الكونى و خلق الانسان ، و الذى أخضع الانسان لنواميسه التى أخضع لها الوجود الكونى .. هو سبحانه — الذى سن للانسان « شريعة » لتنظيم حياته الارادية تنظيماً متناسقاً مع حياته الطبيعية ، فالشريعة — على هذا الأساس — إن هى إلا قطاع من الناموس الالهى العام الذى يحكم فطرة الانسان ، و فطرة الوجود العام ،و ينسقها كلها جملة واحدة .

و ما من كلمة من كلمات الله ، و لا أمر و لا نهى ، و لا وعد و لا وعيد ، و لا تشريع و لا توجيه ، إلا و هى شطر من الناموس العام ، و صادقة فى ذاتها صدق القوانين التى نسميها القوانين الطبيعية — أى القوانين الالهية الكونية — التى نراها تتحقق فى كل لحظة ، بحكم ما

فى طبيعتها من حق أزلى أودعه الله فيها ، و هى تتحقق بقدر الله .

و«الشريعة» التى سنها الله لتنظيم حياة البشر هى - من ثم - شريعة كونية . بمعنى أنها متصلة بناموس الكون العام ، و متناسقة معه .. و من ثم فان الالتزام بها ناشئ من ضرورة تحقيق التناسق بين حياة الانسان : و حركة الكون الذى يعيش فيه .. بل من ضرورة تحقيق التناسق بين القوانين التى تحكم فطرة البشر المضمرة والقوانين التى تحكم حياتهم الظاهرة ، و ضرورة الالتئام بين الشخصية المضمرة و الشخصية الظاهرة للانسان . .

و لما كان البشر لا يملكون أن يدركوا جميع السنن الكونية ، ولا أن يحيطوا بأطراف الناموس العام — و لا حتى بهذا الذى يحكم فطرتهم ذاتها و يخضعهم له - رضوا أم أبوا - فانهم — من ثم - لا يملكون أن يشرعوا لحياة البشر نظاماً يتحقق به التناسق بين فطرتهم المضمرة و حياتهم الظاهرة ، إنما يملك هذا خالق الكون و خالق البشر ، ومدبر أمره و أمرهم ، وفق الناموس الواحد الذى اختاره و ارتضاه .

و كذلك يصبح العمل بشريعة الله واجباً لتحقيق ذلك التناسق ، . و ذلك فوق وجوبه لتحقق الاسلام اعتقاداً ، فلا وجود للاسلام فى حياة فرد أو حياة جماعة ، إلا باخلاص العبودية لله وحده ، و بالتلقى فى كيفية هذه العبودية عن رسول الله وحده ، تحقيقاً لمدلول ركن الاسلام الأول : شهادة أن لا إله إلا الله ، و أن محمداً رسول الله .

و فى تحقيق التناسق المطلق بين حياة البشر و ناموس الكون كل الخير للبشر ، كما أن فيه الصيانة للحياة من الفساد . . إنهم - فى هذه

الحالة وحدها - يعيشون فى سلام مع الكون و فى سلام مع أنفسهم فأما السلام مع الكون فينشأ من تطابق حركتهم مع حركة الكون ، و تطابق اتجاههم مع اتجاهه . . و أما السلام مع أنفسهم فينشأ من توافق حركتهم مع دوافع فطرتهم الصحيحة ، فلا تقوم المعركة بين المرء و فطرته ، لأن شريعة الله تنسق بين الحركة الظاهرة و الفطرة المضمرة ، فى يسر و هدوء . و ينشأ عن هذا التنسيق تنسيق آخر فى ارتباط الناس و نشاطهم العام ، لأنهم جميعاً يسلكون حينئذ وفق منهج موحد ، هو طرف من الناموس الكونى العام .

كذلك يتحقق الخير للبشرية عن طريق اهتدائها و تعرفها فى يسر إلى أسرار هذا الكون ، و الطاقات المكنونة فيه و الكنوز المذخورة فى أطوائه ، و استخدام هذا كله وفق شريعة الله . لتحقيق الخير البشرى العام ، بلا تعارض و لا اصطدام .

و مقابل شريعة الله هو أهواء البشر :

« و لو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات و الأرض و من فيهن » . (المؤمنون ٧١)

و من ثم توحد النظرة الاسلامية بين الحق الذى يقوم عليه هذا الدين ، و الحق الذى تقوم عليه السماوات و الأرض ، و يصلح عليه أمر الدنيا و الآخرة ، و يحاسب الله به و يجازى من يتعدونه .. فهو حق واحد لا يتعدد ، وهو الناموس الكونى العام الذى أراده الله لهذا الوجود فى جميع الأحوال ، و الذى يخضع له و يؤخذ به كل ما فى الوجود من عوالم و أشياء و أحياء .

« لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم ، أفلا تعقلون ! و كم قصمنا من قرية كانت ظالمة و أنشأنا بعدها قوماً آخرين ، فلما أحسوا بأسنا إذاهم منها يركضون، لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه و مساكنكم لعلكم تسألون ، قالوا : ياويلنا إنا كنا ظالمين ! فمازالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيداً خامدين ، وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين ، لو أردنا أن نتخذ لهواً لا تخذناه من لدنا . . إن كنا فاعلين ، بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ، ولكم الويل مما تصفون و له من فى السماوات و الأرض ، و من عنده لا يستكبرون عن عبادته و لا يستحسرون ، يسبحون الليل و النهار لا يفترون » ...
(الأنبياء : ١٠ — ٢٠)

وفطرة الانسان تدرك هذا الحق فى أعماقها ، فطبيعة تكوينه و طبيعة هذا الكون كله من حوله . توحى إلى فطرته بأن هذا الوجود قائم على الحق ، و أن الحق أصيل فيه ، و أنه ثابت على الناموس ، لايضطرب ولا تنفرق به السبل ، ولا تختلف دورته ، و لا يصطدم بعضه ببعض ، و لا يسير وفق المصادفة العابرة و الفلتة الشاردة ، و لا وفق الهوى و المنقلب و الرغبة الجامحة ! إنما يمضى فى نظامه الدقيق المحكم المقدر تقديراً ، و من ثم يقع الشقاق — أول مايقع — بين الانسان وفطرته عندما يحيد عن الحق الكامن فى أعماقها تحت تأثير هواه و ذلك عندما يتخذ شريعة لحياته مستمدة من هذا الهوى لا من شريعة الله ، و عندما لا يستسلم لله استسلام هذا الوجود الكونى الخاضع لمولاه !

و مثل هذا الشقاق يقع بين الأفراد و الجماعات والأمم والأجيال

كما يقع بين البشر و الكون من حولهم ، فتنقلب قواه و ذخائره وسائل تدمير فى أسباب شقاء ، بدلا من أن تكون وسائل عمران و أسباب سعادة لبنى الانسان .

و إذن فان الهدف الظاهر من قيام شريعة الله فى الأرض ليس مجرد العمل للآخرة ، فالدنيا و الآخرة معاً مرحلتان متكاملتان ، وشريعة الله هى التى تنسق بين المرحلتين فى حياة هذا الانسان ، وتنسق الحياة كلها مع الناموس الالهى العام .

و التناسق مع الناموس لا يؤجل سعادة الناس إلى الآخرة ، بل يجعلها واقعة ومتحققة فى المرحلة الأولى كذلك ، ثم تتم تمامها و تبلغ كمالها فى الدار الآخرة .

هذا هو أساس التصور الاسلامى للوجود كله ، وللوجود الانسانى فى ظل ذلك الوجود العام ، و هو تصور يختلف فى طبيعته اختلافاً جوهرياً عن كل تصور آخر عرفته البشرية ، و من ثم تقوم عليه التزامات لا تقوم على أى تصور آخر فى جميع الأنظمة و النظريات .

إن الالتزام بشريعة الله — فى هذا التصور — هو مقتضى الارتباط التام بين حياة البشر و حياة الكون ، وبين الناموس الذى يحكم فطرة البشر و يحكم هذا الكون ، ثم ضرورة المطابقة بين هذا الناموس العام و الشريعة التى تنظم حياة بنى الانسان ، وتتحقق بالتزامها عبودية البشر لله وحده ، كما أن عبودية هذا الكون لله وحده لايدعيها لنفسه إنسان .

و إلى ضرورة هذا التطابق و التناسق يشير الحوار الذى جرى

بين إبراهيم — عليه السلام - أبى هذه الأمة المسلمة — و بين «نمرود» المتجبر المدعى بحق السلطان على العباد فى الأرض ، و الذى لم يستطع — مع ذلك — أن يدعى بحق السلطان على الأفلاك و الأجرام فى الكون ، و بهت أمام ابراهيم عليه السلام ، و هو يقول له : إن الذى يملك السلطان فى الكون هو وحده الذى ينبغى أن يكون له السلطان فى حياة البشر ، و لم يحر جواباً على هذا البرهان :

« ألم تر إلى الذى حاج إبراهيم فى ربه — أن آتاه الله الملك - إذ قال إبراهيم : ربى الذى يحيى و يميت ، قال : أنا أحيى و أميت ! قال إبراهيم : فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب . فبهت الذى كفر ، و الله لا يهدى القوم الظالمين » (البقرة : ٢٥٨)

و صدق الله العظيم :

« أفغير دين الله يبغون ، و له أسلم من فى السماوات والأرض طوعاً و كرهاً و إليه يرجعون ؟ » . . (آل عمران : ٨٣) .

مكانة الجماهير فى الدولة الاسلامية

الأستاذ أمين أحسن الاصلاحى
صاحب الامتياز لمجلة « الميثاق » لاهور
تعريب : الأستاذ أبو مسعود

(٢)

كتب الشاه ولى الله الدهلوى فى كتابه حجة الله البالغة مشيراً إلى نظام الشورى ، و مكانته هى لتسوية جميع الأمور السياسية والتنازع فيها من أيام حكم سيدنا عمر رضى الله عنه .

« كان من سيرة عمر رضى الله عنه أنه كان يشاور الصحابة و يناظرهم حتى تنكشف الغمة ، و يأتيه الثلج ، فصار غالب قضاياه و فتاواه متبعة فى مشارق الأرض و مغاربها (حجة الله البالغة ج ١ ص ١٣٢) .

لم يكن يخص ذلك عصر سيدنا عمر رضى الله عنه وحده ، بل استمر ذلك حسب تحقيق الشاه ولى الله إلى عصر سيدنا عثمان رضى الله عنه حيث كانت جميع الأمور المتعلقة بالادارة العامة ونظام الحكم ، و التشريع تبرم عن طريق الشورى ، فيقول الشاه ولى الله الدهلوى فى كتابه « إزالة الخفاء » .

« تحقق أنه لم تظهر وحتى عهد عثمان رضى الله عنه خلافات فقهية فكلما وقع أى خلاف حول أية مسألة كان الناس يراجعون الخليفة

والذى هو بدوره كان يبت فيه بعد المشورة ، ويصبح ذلك الرأى حكماً إجماعياً » (مقصد أول ص ١٣٠) .

تقدم هذا النظام الاستشارى فى عهد سيدنا عمر رضى الله عنه غاية التقدم، و لنعرف مدى تقدمه بوضوح نورد هنا ما كتبه العلامة شبلى النعمانى رحمة الله عليه فى كتابه الشهير « الفاروق » و هو يشرح النظام الاستشارى فى العصر الفاروقى . لما يتضمن ذلك البحث من دلائل قاطعة ، و براهين ثابتة ، مستمدة من مصادر موثوق بها مثل طبقات ابن سعد ، كنز العمال ، تاريخ طبرى ، وكتاب الخراج و فيما يلى بعض أجزاء بحثه الهامة :

كتب الكاتب الفاضل و هو يذكر المجلس الاستشارى فى خلافة عمر رضى الله عنه .

كان الجوهر الأساسى لنظام الحكم إنشاء المجلس الاستشارى ، فكلما حدث أمر إدارى هام ، انعقد مجلس استشارى ، فلم يكن يتخذ قرار فى أى أمر بدون الاستشارة ويصدر القرار بأغلبية الآراء و كان المسلمون آنذاك منقسمين إلى مجموعتين ، تتضمنان قادة الأمة بأجمعها ، كأن المسلمين قبلوا زعماءهما ممثليهم . وهماء « المهاجرون » و « الأنصار» فكان من اللازم اشتراك أعضاء هاتين المجموعتين فى المجلس الاستشارى دائماً ، وكان الأنصار أنفسهم ينحدرون من قبيلتين « أوس » و « الخزرج ، فكانت كلتا هاتين القبيلتين تشترك فى المجلس الاستشارى، ولو أنه من الصعب أن نذكر أسماء جميع أعضاء المجلس الاستشارى إلا أنه يمكن القول أن المجلس كان يشتمل بين آخرين على عثمان و على ،

و عبد الرحمن بن عوف ، و معاذ بن جبل ، و أبى بن كعب ، و زيد بن ثابت ، وكانت الطريقة المتبعة لعقد اجتماع المجلس ، أن يؤذن مؤذن بأن الصلاة جامعة ، و عندما يجتمع الناس يصلى سيدنا عمر ركعتين فى المسجد النبوى الشريف ، و يصعد المنبر ، و يخطب ثم يطرح المسألة التى تحتاج إلى البحث و المناقشة .

كانت قرارات هذا المجلس حول الأمور العادية واليومية تعتبر نافذة المفعول بصورة كافية ، فاذا كان ثمة أمر جسيم ، فكان من العادة أن يعقد إجتماع عام للمهاجرين و الأنصار ، و يتخذ القرار فيه بالاجماع ، فعندما أصر بعض الصحابة بعد فتح العراق والشام أن تمنح جميع المناطق المفتوحة كاقطاعيات الجنود ، انعقد مجلس واسع إشترك فيه جميع المهاجرين و الأنصار المتقدمين ، و عشرة من كبار القادة و الرؤساء من أصحاب النفوذ فى الأمة ، خمسة منهم كانوا ينتمون إلى قبيلة أوس و خمسة إلى قبيلة خزرج ، و استمرت جلسات المجلس عدة أيام ، عبر فيها الناس بكل صراحة و حرية عن آرائهم ، و يجدر هنا بأن نذكر فى هذا السياق بعض الكلمات التى تضمنها خطاب سيدنا عمر لأنها تكشف عن حقيقة الخلافة و سلطات الخليفة :

« إنى لم أرسلكم ، إلا لأن تشركوا فى أمانتى ، فيما حملت من أموركم ، فانى واحد كأحدكم ، و لست أريد أن تتبعوا بذا الذى أهوى » .

« و فى عام ٢١هـ عندما وقعت معركة « نهاوند » الضارية و قام العجميون باستعدادات هائلة ظن الناس أن الأمر يستلزم حضور الخليفة

نفسه فى المعركة ، عقد إجتماع عام للمجلس الاستشارى ، فألقى كل من عثمان رضى الله عنه ، و طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه ، و زبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهما ، بالتناوب خطبهم و صرحوا ، أنه ليس من المناسب أن يحضر الخليفة الحرب ، ثم قام سيدنا على رضى الله عنه و ألقى كلمة فى تائيد ما قاله السابقون ، فاتخذ القرار بأغلبية الرأى أن لا يذهب سيدنا عمر رضى الله عنه بنفسه إلى أرض المعركة وكذلك كان الحال بالنسبة لرواتب الجنود وتنظيم المكتب وتعيين العاملين ، ومنح الأقوام الأجنبية حرية التجارة ، وتعيين الضرائب عليها من بين أمور عديدة ورد ذكرها بصراحة فى التاريخ بأنها أبرمت فى المجلس الاستشارى » .

لم يكن عقد المجلس الاستشارى و المشورة مع أهل الرأى أمراً طوعياً أو مستحسناً بل أصدر سيدنا عمر رضى الله عنه أوامر صريحة فى عدة مناسبات بأن الخلافة لا تجوز بتاتاً بدون المشورة فقال : « لا خلافة إلا عن مشورة » و كان اجتماع المجلس الاستشارى ينعقد عند حدوث أمور هامة ، و لكنه كان هناك مجلس آخر حيث كانت تبحث أمور ادارية عادية و الشئون اليومية ، و كان هذا المجلس ينعقد فى المسجد النبوى ، و لا يشترك فيه إلا الصحابة من المهاجرين ، و كان سيدنا عمر رضى الله عنه يرفع إلى هذا المجلس الاخبار و التقارير التى ترد إلى العاصمة من الأقاليم و المقاطعات يومياً ، ويستشير أصحابه حول المسائل الهامة منها ، و قد رفعت مسألة فرضه الجزية على المجوس أولا فى هذا المجلس ، و يقول البلاذرى فى ذكر هذا المجلس :

« كان للمهاجرين مجلس فى المسجد ، فكان عمر يجلس معهم فيه ، و يحدثهم عما ينتهى إليه من أمور الآفاق ، فقال يوماً ما أدرى كيف أصنع بالمجوس » .

لم تكن الأمور الادارية الهامة وحدها تبرم عن طريق الشورى فى عهد خلافة عمر ، بل كان حكام و عمال الأقاليم و المقاطعات يعينون أحياناً حسب رغبات الجمهور ، و يقول العلامة شبلى نقلا عن كتاب الخراج :

« عندما حان وقت تعيين الحكام و العمال فى الكوفة و البصرة و الشام ، أصدر سيدنا عمر رضى الله عنه أوامره إلى هذه الأقاليم الثلاثة بأن يرشح سكان هذه المناطق العمال بانتخابهم ويطلعوه على أسماء أشخاص يعتبرونهم أكثر الناس أمانة و صلاحية ، فقدم أصحاب الكوفة اسم عثمان بن فرقد ، و أهل البصرة ، اسم حجاج بن علاط ، و أهل الشام ، معن بن يزيد ، و عين رضى الله عنه هؤلاء جميعاً حكام تلك الأقاليم

و ما من أدنى شك بأن الخليفة إذا كان متأكداً بأن ما يفهمه هو الصواب ، و أن اتخاذ طريق ضده ينذر بالخطر ، فانه يستطيع أن يصر على رأيه ، و لكنه يجب عليه أن يراعى بأنه ليس معصوماً عن الخطأ ، و لذلك لا يتمتع فى مسائل الاجتهاد ، و المصالح (و هذه المسائل بذاتها من اختصاص الشورى) بحق الاصرار على رأيه ، وأن يوليه بأهمية إلى درجة رفض أغلبية الآراء لأهل الرأى الآخرين ضد رأيه الوحيد ، فاذا كان الخليفة يعتبر يقينه فوق الشك و الريبة فى أى

أمر اجتهادى فانه يعنى بأنه يعتبر نفسه معصوماً عن الخطأ .

و أحد الأدلة على وجوب الالتزام بقرارات مجلس الشورى التى تتخذ بالأغلبية على الخليفة ما أورده أبوبكر جصاص فى أحكام القرآن ، أنه من مقتضيات طبيعة الشورى أن تقبل قرارات أغلبية أهل الشورى نظرا للأهمية و التاكيد الذى يمنحه الاسلام الشورى ، فاذا كان المقصود منه أن يشترك بضعة أشخاص فى المشورة لمجرد تأليف القلب أو الاكرام دون التزام الخليفة بالتمسك بها ، فانه لايشكل إلا عملية غير نافعة ودون جدوى فيعتقد صاحب أحكام القرآن أن هذه الطريقة لن تؤدى إلى تأليف القلوب أو الاكرام بل إنما تعود عليهم بالازدراء و التخييب .

والدليل الآخر أن رأى الجماعة على كل حال من الأحوال يضمر امكانيات صحة و صواب و سداد فكر أكثر مما يضمرها رأى شخص واحد ، و لذلك يقتضى العقل و الطبيعة أن يرفض الخليفة رأى الجماعة مقابل رأى الوحيد أو رأى مواليه العديدين لأنه ليس هناك مبرر للاعتقاد بأنه مصيب فى رأيه ، و الآخرون مخطئون ، فالكانيات الخطأ و الصواب محتملة فى كلا الجانبين إلا أن احتمال الصواب الغالب يكمن فى الجهة التى تتجه إليها الأغلبية ، و على هذا الأساس ترجح الشريعة طريق الجمهور على الفرد ، و الاجماع على اجتهاد الفرد .

والدليل الثالث أننا لا نجد فى التاريخ مثالا واحدا فى عهد الخلفاء الراشدين يدل على أنهم اتخذوا أى خطوة ضد رأى الأغلبية فى مسألة ما بعد إجراء المشورة ، و التوصل إلى قرار متفق عليه .

قال الله سبحانه و تعالى :

« و الله فضل بعضكم على بعض فى الرزق فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء أفبنعمة الله يجحدون .

نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ، ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ،

اقتصادنا في ضوء الاسلام

بقلم

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما ، قال : قال لى رسول الله ﷺ يا عبد الله ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل ، فقلت : بلى يارسول الله ، قال : فلا تفعل ، صم و أفطر وقم و نم ، فان لجسدك عليك حقاً ، و إن لعينك عليك حقاً ، و إن لزوجك عليك حقاً ، و إن لزورك عليك حقاً .

(حديث شريف)

روح التشريع فى الاقتصاد الاسلامى

الأستاذ محمود أبو السعود

الأرجح عندنا أن للفرد أن يملك الأرض الزراعيـة ، و ذلك لا شك إستغلال لرأس المال ، و لكن ليس له قطعاً أن يكريهـا ، ذلك لأن كراء الأرض لا يتعدى أن يتقاضى المالك جعلا ثابتاً فى أمد معين نظير تمكن المزارع من أرضه ليفلحها و يستنبتها ، أو بعبارة أخرى إنما الكراء فى الأرض إعطاء المالك أرضه — أو رأسماله — إلى من هو فى حاجة إليه ليستغله ويكسب - إن استطاع - من وراء هذا الاستغلال و ذلك نظير أجر ثابت يتقاضاه صاحب رأس المال ، و هـذا مخالف للاسلام فى أحكامه الخاصة و العامة ، إذ لا يعـدو أن يكون شكلا من أشكال الاقراض بفائدة ، و لعمرى أن اشتراط كـراء الأرض نظير مبلغ معين من ذهب أوفضة لهو أمعن فى الخطأ ، وأقمن بالحكم بالتحريم لا بالتحليل ، و أبعد ما يكون عن منطق الاسلام السليم ، و جدير ألا يكون صادراً عن رسول الله ﷺ ، إذ كيف يـأبى أن تؤجر الأرض بجزء مما يخرج منها ، ثم يرى أن يدفع المستأجر لصاحبها حصة معينـة من ذهب أو فضة ؟؟

القـاعدة الاسلامية العامة فى مثل هذا المعاملات ألا يعيش الفرد من عمل غيره نظراً لانتفاء العدالة و انتقاض المساواة بين أفراد المجتمع الذى وصفه مؤسسه عليه السلام بأنه كالجسد الواحـد ، الواجب إذا ما طبقنا القواعد الاسلامية أن يثاب الفرد بعمله « من عمل صالحاً فلنفسه و من أساء فعليها » « أولئك لهم نصيب مما كسبوا » هذه القاعدة أقرب ما تكون إلى البديهة و نحن نردفها هنا بمسألة أخرى ، هى أن الاسلام حرص أشد الحرص على أن يكون أفراد المجتمع كلهم عاملين منتجين ، لا ينقطع لهم عمل أو إنتـاج ، فذلك دليل الحيوية و سر النهوض و الارتقاء .

و حكمة ثالثة تعيننا على فهم روح التشريع الاسلامى وحكمته ازاء استغلال الأرض خاصة و رؤوس الأموال عموماً ، هى النهى الصريح القاطع عن وجود طبقات متمايزة متنابذة متحاسدة متنافرة فى المجتمع الاسلامى الصحيح ، و ليس المقصود من عدم التمايز هنا وجوب تحقيق المساواة المادية مساواة مطلقة بين الأفراد ، فذلك فوق أنه منصوص على نقيضه فى القرآن فهو مخالف لفطرة الناس وتفاوتهم ، ذلك التفاوت الذى لا يتصور العمران بدونه ، إنما يقصد الاسلام بنهيـه عن وجود الطبقات المتمايزة إلى أن تكون الأمة كلها متساندة متفقة المصالح . ما يضر جماعة منها يضر الكل فى الصميم كما أن الاسلام بهذا المبـدأ لا يقبل أن يكون تفاوت الرزق سبباً لاستعلاء طائفة على أخرى ، إذ أن المقياس المادى يجب ألا يكون بحال من الأحوال معياراً توزن به أقدار الناس و مكانتهم .

و لئن كان عصرنا الحالى قد فرض ذلك الميزان على بعض البلاد ، فصار الأصلح هو الأغنى ، فانما ذلك تدليل مردود ، و أمر موجب للأسف . إذ تعزى إليه أغلب أسباب الفوضى الاجتماعية ، و التناحر البشرى ، و الانقلاب الفكرى التى نشاهدها فى هذا العصر .

هذه الكليات الثلاث : نصيب المرء على قدر عمله (لا ملكيته) و ضرورة بذل الجهود الفردية ، و عدم وجود الطبقات الاجتماعية ، تبدى لنا حكمة التشريع ، ورأى الاسلام فى الملكية واستغلال الثروات ، تفصيل ذلك أن الملكية وحدها لا تغنى أكثر من أعطاء المالك حقوقاً على ما يمتلك ، و لكنها لا تغنى قط ضمان الرزق للمالك ، لأن الثروة المملوكة عقيمة دون عمل ، لن تدر على مالكها رزقاً ما لم يبذل فيها عملا ، و من هنا لم يجز أن ينام المالك عن ملكيته التى يتعهدها غيره بالاستثمار و الاستغلال ثم ينال المال نظير ذلك جزاء موفوراً ذهباً أو ورقاً .

قد يذهب البعض إلى أن هذه القاعدة العامة تتضمن بعض التناقض إذا خرجنا من التعميم إلى التخصيص ، إذ ما بالنا نسمح لصاحب الدار و الآلة أن يؤجر داره وآلته ولانسمح لصاحب الأرض بمثله ، جواب ذلك يسير . فالدار و الآلة كلتاهما سلعة استهلاكية و إن كان استهلاكهما طويل المدى ، و سيأتى وقت بعد أم قصر يصبحان فيه أثراً بعد عين ، و استغلالهما هو بدون شك استغلال لمنفعتهما يستلزم بحكم الضرورة استهلاكا للعين ذاتها ، وصاحب الآلة والمنزل عليه دواماً أن يعمل على صيانتهما و ترميمهما و حفظهما من التلف الذى لا يمكن

تلافيه كلية سواء استعملا أم أهملا ، ذلك أن طبيعة الأشياء الاستهلاكية أن تفنى باستعمالها، فمالكها مجبر على اقتضاء ثمنها (أو اقتضاء ثمن منفعتها حالة تأجيرها) و إلا استهلكت فاستهلك رأس المال المستغل فيها دون مقابل للجهد المبذول فى إنشائها أو صناعتها ، و بعبارة أخرى مثل هذه السلع الاستهلاكية إنما تصنع أو تنشأ حتى يستفيد صاحبها من استثمار عمله فيها ، و ظاهر أن وضع الأرض مخالف تماماً لمثل هذه السلع ، فهى ليست استهلاكية ، و لا تفنى بحكم الاستغلال و الاستثمار كما أنها ليست (أو على الأقل ليس أغلبها) من عمل الناس وإنشائهم و لكنها كما سبق القول من عمل الطبيعة و مواهب الخالق تبارك و تعالى .

هنا يعرض سؤال آخر إذ لو قلنا بهذا فما حكم مالك الدار أو الآلة الذى يرتزق من تأجير آلته أو داره و يقوم بعمل آخر ؟ هذا عندنا رزق حلال إذ هو أجر لاحق لعمل سابق ، و هذا الأجر لن يستمر أبداً بل سينتهى بانتهاء الدار أو الآلة و حينئذ عليه أن يعمل من جديد ليبنى داراً أخرى أو يصنع آلة ثانية ، وقياس هذا الوضع بصاحب الأرض بين الاختلاف ، و مع هذا فان لنا تحفظاً على اجازة التحليل إذ المجتمع الاسلامى السليم الكامل لا يكاد يسمح لبعض الأفراد أن يعيش من أهون السبل بمثل هذا الاستغلال ، لأن من حق الفرد على الدولة أن تؤمن له سكنه ضمن واجباتها نحوه فى تأمين ضرورات حياته (مثل السكن و المأكل و المشرب و التمريض و التعليم و المساواة فى الفرص أو حق العمل) . من أجل ذلك كان احتمال وجود طبقة من الملاك (غير الزراعيين) بعيداً كل البعد عن المجتمع الاسلامى . فان

وجدت مثل هذه الطبقة لخلل فى البنيان الاجتماعى ، فذلك خطأ التطبيق وليس خطأ التشريع وعلى أية حال فالاسلام لا يبيح عموماً (القعود عن طلب الرزق) و لا يقر أن يتحكم بعض الناس فى البعض الآخر ، و أن توجد طبقة متميزة عن سائر الطبقات ، لذلك كان تملك السلع الانتاجية أو الاستهلاكية مباحاً بشرطه ، وشروطه ما أسلفنا من تحفظات .

للفرد إذن أن يتملك ما شاء من رؤوس الأموال الثابتة أو المنقولة ، بما فى ذلك الأرض ، لأن الملكية الفردية و إن لم تكن عندنا غزيرة أصيلة فى الانسان إلا أنها من مستلزمات تميز الشخصية ، كما هى من مقومات حسن الاستغلال و الاستثمار ، و لئن أباح الاسلام الملكية الفردية بشكل تام إلا أنا نجد أن هذه الاباحة محفوفة بكثير من القيود و التحفظات ، حتى إن الممعن فى دراسة روح التشريع ليتردد طويلا قبل أن يقنع بهذه الاباحة ، و العلة فى هذا راجعة إلى أن المشرع يخشى دائماً طغيان الفرد إن استأثر بجزء كبير من الثروة المادية (كلا إن الانسان ليطغى أن رآه استغنى) و ليس معنى هذا أن الاسلام يفصل حياة الفقر للافراد على حياة الغنى ، إنما المقصود ألا تتسع الهوة بين دخول الأفراد إذ كثيراً ما يغرى هذا بتحكم الأغنياء فى الفقراء عن طريق الاحتكار الفعلى و الاستعلاء المادى ، و ألا توجد طبقات متضاربة المصالح و الغايات .

تكوين جديد للاقتصاد الاسلامى !

الأستاذ منظور الرحمن أحمد (باكستان)

الاقتصاد الغربى شجرة برية غير منسقة نبتت من غير حدب ورعاية و تصميم و تفكير ، و قبل أن نبحث فى أوراق هذه الشجرة و ثمارها و أغصانها ، و ندرس منافعها و مضارها يجب أن نفكر فى تلك التربة التى نبتت فيها هذه الشجرة ، و ندرس خصائص هذه التربة و صفاتها بتأثير الجو ، و السقى و الرى ، حتى أصبحت دوحة كبيرة ، و المراد بقولى هذا تلك العناصر و الأجزاء التى تكون منها الاقتصاد الغربى ، و هى ثلاثة أجزاء :

١ــ العقلانية :

٢ــ المادية :

٣ــ اللادينية :

إن هذه الأجزاء و العناصر ظلت تتفاعل بحركات مختلفة أمثال حركة التحرر Liberalism و الرومانتكية Romanticisim والاصلاح الدينى Reformation و الثورة الصناعية Industrial Revolution وحركة علوم الطبيعة ونحو ذلك ، حتى انتهت إلى إنتاج حضارة غربية ،

وكان من البديهى المعقول أن شجرة الاقتصاد التى تنشأ فى هذه التربة تحمل نفس الخصائص و الصفات التى تحملها هذه التربة و الجو المحيط بها ، إن معظم العلوم التى تدرس فى كلياتنا وجامعاتنا تدور حول نقطة واحدة ، و هى جلب المال و المنفعة ، و المصلحة الذاتية ، فاذا حللنا الجهاز الاقتصادى الغربى كله بحياد تام ، و نزاهة علمية ، وصلنا إلى نتائج تالية .

١— إن كل مبدأ أو مفروضة من مفروضات الاقتصاد الغربية لم يقم على فراغ ، بل ترجرج فيها شعور حضارى من نوع خاص ، إن الأخصائيين (١) الفلاسيكين الجدد والمدارس الفكرية الأخرى ، نظرت إلى مشكلات الوقت فى ضوء البيئة التى عاشت فيها ، و ترعرعت ، فكل مبدأ لأكبر عالم اقتصادى فى أوربا هو فى الواقع انعكاس للبيئة ، وصدى للحاجات المادية و الاقتصادية لهذه البيئة ، و كل حل لهذه المشكلة تبع لأهدافهم الخاصة بطبيعة الحال .

(١) نضرب لذلك مثلا عن الانسان الاقتصادى Econo-mic man- لآدم سميث الذى يكسب أكبر مقدار ممكن من المال و ينفق أقل ما يمكنه ، إن المؤلفين والكتاب فى بلادنا يقدمون هذه المفروضات كالحقائق النفسية و ينتصرون لها ، مع أنها صورة للتربية التى نالها الشعب الغربى على مر الزمن . إن الكشف عن وجه هذه المفروضات العلمية واجب على كل عالم اقتصادى مسلم فى هذا الوقت .

٢— إن النتائج و الآثار التى تبدو فور تنفيذ هذه المبادىء والنظريات تبقى متصلة دائماً بهذه المبادىء تستمد منها القوة ، فلكل مبدأ أثره الخاص، أما الآثار التى ظهرت نتيجة للاقتصاد الغربى فهى كما يلى : الأوضاع المالية المضطربة ، الاختلال الاقتصادى ، استحصال الاجراء ، الاحتكارات ، اكتناز الأموال ، أما المؤسسات و الحركات التى أنشئت بمقاومة الآثار السيئة لهذه الفلسفة الاقتصادية الغربية ، و تقوية آثارها الحسنة ، فانها بمثابة تجميل و تزيين لبناء غير متزن و غير سليم يبدو أنيقاً رائعاً فى مظهره ، و هو متأكل منخور منهار فى داخله .

٣— تنتج عدة نتائج غير مرئية علاوة على الانعكاسات الاقتصادية المرئية بتفشى الاقتصاد الغربى فيؤدى هذا النظام إلى تفشى نظام سياسى رأس مالى ، و نظام اخلالى رأس مالى ، و غير ذلك ، من النظم الأخرى من عمد و غير عمد بقبول نظام الاقتصاد الرأسمالى و إلا يهدد المجتمع بالفوضى .

٤— و لعله ليس من الحق القول بأن الحياة الغربية الرأسمالية لاتستند على نظام خلقى ، فان عدة قيم إنسانية تبقى فى النظام الاقتصادى الغربى و فى بعض الظروف تبرز فيه بعض القيم الخلقية أكثر جلاء مما يتبرز معالمها فى مجتمع متدين ، و لكن اتخاذ هذه القيم واتباعها لايرجع إلى الحصول على رضى الله عنه ، و خدمة الانسان ، بل يدور حول غرض خدمة نظام الحياة الرأس مالية و يعتبر عاملا مساعداً لها فمثلا تعتبر الأمانة صفة طيبة لأنها تعود بمنافع جمة إلى التجارة ، و الصدق يخدم تقدم التجارة .

و توصل المقدمة السالفة إلى نتيجة حتمية و هى أن اتخاذ نظام حياة رأس مالية يحتاج إلى إيجاد بيئة خاصة ، و تفكير خلقى و نفسى و هيآت عملية خاصة ، وكلما خلى المجتمع من هذه المستلزمات فانه أدى إلى ظهور تعقدات مادية و فكرية و سياسية و اجتماعية .

و لننظر إلى النظام الاشتراكى الذى يعارض النظام الرأس مالى ، يظن بعض الناس أن هذه الشجرة لم تنبت فى تربة الحضارة الغربية ، إن هذا الظن وهم و خيال فارغ ، فيجرى فى شرايين النظام الاشتراكى نفس الدم الذى يجرى فى شرايين النظام الرأس مالى ، فتوجد فى أرضيته نفس اللادينية العقلية و المادية ، بل إنها أكثر قوة و جلاء فى هذا النظام مما هى عليه فى النظام الرأس مالى ، فلا يفرق بينهما شئ سوى اختيار الانفرادية مقابل الاجتماعية وسلب السلطة من الافراد إلى الدولة ، إننا نصل هنا أيضاً بعد التحليل إلى نفس النتائج التى تصل إليها عن طريق النظام الرأس مالى (١) ليس من الصحيح القول أنه لايمكن اختيار نظام سوى النظام الاقتصادى الاشتراكى فى أى دولة ، و تستطيع تلك البلاد والمجتمع أن تصبغ جميع النواحى الأخرى للحياة الانسانية بصبغتها، إن النظام الاقتصادى الاشتراكى الناجح لا يستطيع أن يقوم فى منطقة إلا تلك المنطقة التى يطبق فيها مع هذا النظام الاقتصادى ، النظام السياسى الاشتراكى ، و الحضارة و نظام الأخلاق الاشتراكية فكل بلد بذلت فيه محاولة لتطبيق مجرد النظام الاقتصادى الاشتراكى ، خابت فيه هذه المحاولات و تعرضت البلاد للفوضى والتناقض ، والحق أن النظام الاقتصادى الاشتراكى يصحب معه أنظمة أخرى ناتجة عنه .

(٢) إن المؤسسات للنظام الاقتصادى الاشتراكى تتناقض كلياً عن مؤسسات النظام الرأس مالى ، فالتخطيط المركزى ، وعدم وجود ميكانيكية الأسعار و هيكل الدفع ، كلها نظمت لفرض وحيد وهو إيجاد نظام إشتراكى للاقتصاد .

(٣) ويحتل التخطيط المركزى فى النظام الاشتراكى للاقتصاد أهمية رئيسية ، و يختلف هذا التخطيط عن تخطيط الاقتصاد و الرأس مالى المتقدم دائماً هو تخطيط متصلب غير لين ، و الميزة التى يتميز بها طبيعية هى أن عنصر الاجبار ، يسوده بدلا من عنصر الطوعية .

« يتبع »

الأمة العربية لم يكن لها وجود قبل مجيء الاسلام ولا بعده ، فى الجاهلية كانت تعيش مجموعة من القبائل المتفرقة المتحاربة أبداً ، لا يمكن أن يطلعه عليها وصف « الأمة » حتى من قبيل التجاوز ، و بعد الاسلام نشأت « الأمة الاسلامية » و أصبح الكلام عن

دراسات وأبحاث

« العرب و العروبة و الأمة العربية » حديثاً مردوداً و نفحة نشازاً ، لأن العرب أصبحوا مسلمين ، و لأن تقسيم البشرية — كما ورد فى القرآن — أصبح تقسيماً عقائدياً ، و انحصر فى فئتين اثنتين لا ثالثة لهما : حزب الله و حزب الشيطان . « أنظر ص ٦٤ »

من نصدق ؟ ! ..

الشعوبية الجديدة فصول فى التاريخ والسياسة

الاستاذ محمد مصطفى رمضان

« من نصدق ؟ ! » هو الفصل الحادى عشر من كتاب « الشعوبية الجديدة » المائل للطبع ، و هو فصول تعرض « للقومية العربية » فى أطوارها الثلاثة :

المنشأ فى عهد الأمويين ، باستثناء الفترة القصيرة التى حكم فيها عمر بن عبد العزيز ، ثم محاولة الاحياء الأولى من أواسط القرن الماضى حتى أوائل القرن الحالى، وأخيراً محاولة الاحياء الثانية ، التى تمثلت فى تبنى العساكر المصريين لها بايحاء من اليهودية العالمية فى منتصف الخمسينات ، و قد كان التركيز منصباً فى هذه الفصول على شيئين :

أولهما إظهار التعارض المطلق بين الاسلام والنزعات الأقليمية العنصرية ، و منها ما يسمى بالعروبة ، و ثانيهما التأكيد على أن الاسلام لاعلاقة له البتة بالأفكار البشرية على مر التاريخ .. فهو نظام سماوى .. و شتان بين السماء و الأرض ! !

هنا سنقطع مع العرب القوميين شوطاً آخر يختلف عما سبقه من

أشواط ، فسنفترض أن لدينا رغبة صادقة فى الانضمام إلى أتباع « القومية العربية » ، و أننا لا نريد بعد اليوم أن نشذ عن الطريق الذى يسير فيه « تحالف قوى الشعب العاملة » ! و لكن أليس من حقنا — قبل أن ننخرط فى سلك الداعين إلى هذا الشعار — أن نكون على يقين من أمره ، حتى نبعد عن أنفسنا شبهة الاقتناع السطحى ، أو قلق العامة من عمال و فلاحين ؟ !

لقد استقر الرأى — بعد طول تفكير — على أن نهرع إلى شتى من كتب « القومية العربية » و منشوراتها كى ندرس الشعار عن كثب دراسة مستفيضة ، فلا يعود هناك مانع يحول دون الايمان .. إذا شاء الله لنا أن نؤمن !

و بناءاً على ما تقدم أصبحنا بين عشية و ضحاها من رواد المكتبة القومية ، بل من كبار روادها إنصافاً للحقيقة ! مضت علينا فى تلك الحالة أيام و أيام و نحن نقرأ و نتمحص و نقارن ، وكلما أنهينا كتاباً عن « القومية العربية » ألفينا أنفسنا تائهين فى خضم لا يعرف له أول من آخر ، أو بتعبير أخف وجدنا أنفسنا فى « سوق » اختلطت فيه النداءات ، و تعالت فيه الأصوات بشكل لا يكاد معه المرء يجد أى تناسق أو انسجام بين نداءين أو صوتين !

و قد بحثنا كثيراً فيما يردده أصحاب تلك النداءات عن « قاسم مشترك » فأعيانا البحث .. حتى لكأن الفوضى — فى كل شئ — هى السمت المميز لهذا « السوق » !

★ ★ ★

سوق « القومية العربية » لا يختلف كثيراً فى شكله و محتوياته عن أى سوق من الأسواق التجارية . . فرواده سيسمعون — كما هو الحال فى الأسواق الأخرى ، الهتافات من كل مكان تعلن عن بضاعتها ، و عن درجة جودتها ، و عن السعر الرخيص المغرى !

ورواده سيجدون أيضاً البائعين المحترفين من ذوى الحيل والألاعيب و البائعين السذج الأغرار الذين لم ترسخ أقدامهم بعد فى مجال الضحك على ذقون الناس !

★ ★ ★

فى أحد أركان « السوق القومى » كان السيد « محمد سعيد العريان » ينادى على بضاعته بكلام غريب .. غير مفهوم .. قائلا :

« القومية العربيـــة هى إحساس نفسى ، لأنهـا عندى إحساس و اقتناع و إيمان » (١) .

حاولت أن أرغم عقلى على مناقشة رأى الأستاذ فلم يرض ، و اتهمنى بأننى أتعمد النيل منه و التقليل من شأنه !

بل قال لى — فى سياق الحوار معه — إننى لست مستعداً للدخول معك فى جدل بيزنطى عقيم !

قلت له : لماذا ؟

---

(١) : القومية العربيـــة « كتيب » — منشورات حماية الشبـاب « ! ! » — وزارة التربيـة و التعليم — الجمهورية العربية المتحدة ، ولسنا ندرى مع من هى متحدة ! — ص « ٢٠ » .

قال : صاحبك وصف « القومية العربية » بأنها « إحساس نفسى » أى أنه عندما يشعر بأنه « عربى » و يقتنع بذلك ، ويؤمن به ، يصبح ـ أوتوماتيكيا ـ قومياً عربياً !

ولكنى ماهى الأسس التى كونت هذا الشعور أوهذا الاحساس ، و ما هى الحيثيات التى اقتنع بمقتضاها ، و أدت به إلى أن يؤمن بالقومية ؟ !

ذلك ما لم يشأ السيد العريان أن يفصح عنه ، و المسألة بعد ذلك واضحة أيما وضوح ... فهل يجوز لنا أن نصدق إنساناً ما جاء ليقول لنا :

أنا كردى .. لأننى أشعر بأننى كردى ؟ !

★ ★ ★

مضى السيد العريان فى ترديد ندائه الغريب بتؤدة و رتابة ، و لكن صوته علا فجأة ، و استنفرت جبال حنجرته أيما استنفار ، فلم يخف على الرواد ـ و أنا منهم ـ أن شيئاً ما قد جد على السوق ، فالتفت فاذا برهط من القسس يدخلون من إحدى بوابات السوق ، فى ذات الوقت الذى قال فيه العريان : « ليس صحيحاً أن يقال إن الاسلام هو المقصود من القومية العربية ، و مثله أن يقال إن المسيحية هى المقصودة بكلمة الصليبية ، فان كثيراً ممن كانوا يحاربون تحت رأية الصليب فى الماضى لم يكونوا من المسيحيين المؤمنين ، وكل الذين كانوا يحاربون الصليبيين تحت رأية أولاد العرب لم يكونوا جميعاً من المسلمين ، والمسألة أن كلمة الاسلام فى ذلك الوقت كانت صفة من صفات العروبة ،

فالاسلام إذن ـ بصرف النظر عن أنه دين ـ عنصر من عناصر وجود الأمة العربية » . (١)

العريان اعترف هنا بأن الاسلام ليس هو المقصود من « القومية العربية » ، و هذا هو ما اجتهد الدعاة الاسلاميون سنوات طوالا فى أن يقنعوا الناس به ، فالعامة يظنون أن « العروبة » مرادفة «للاسلام» و أن « العربى » هو « المسلم » أو « المسلم » هو « العربى » ، و أن « القومية العربية » هى من صميم الاسلام !!

و حيث أن العريان قد أقر بذلك المفهوم البديهى فهو قد أسدى لنا خدمة جليلة ، ولكن الرجل أخطأ خطأ فاحشاً حين تعمد أن يقيس المسيحية والصليبية بنفس المقياس ، فليس هناك تعارض البتة بين المسيحية و الصليبية كما تتعارض القومية مع الاسلام .. ذلك أن الصليبية هى مجرد اسم آخر للمسيحية . غير أنها ارتبطت تاريخياً بالحروب التى شنتها أوروبا على بيت المقدس ، و هذا لا يقدم و لا يؤخر فى الأمر .. فالصليب هو شعار المسيحيين منذ قرون و قرون ، أللهم إلا قلة صغيرة لا تؤمن بما يسمى « صلب المسيح » عليه السلام .

أما التعارض القائم أبداً بين الاسلام و القومية العربية ، أو أية قومية أخرى ، فهو تعارض بين عقيدة تنبثق عنها شريعة يجب أن تحكم ، و شعار لا دينى يجردها من الحكم ، و يحول بينها وبين تنظيم المجتمع .

ثم لا يستحى السيد العريان أن يزور التاريخ الاسلامى ليدعم قوله إن الاسلام ليس هو القومية و إن الصليبية ليست هى المسيحية . .

(١) المصدر السابق ص ٢٢

فهو يقول : « إن كثيراً ممن كانوا يحاربون تحت رأية الصليب فى الماضى لم يكونوا من المسيحيين المؤمنين » !

يريد العريان أن يوهم سامعيه أو قراءه أن الحروب الصليبية إنما أشعلها أولئك الذين ينتمون إلى المسيحية بالاسم ، و أن المسيحيين الحقيقيين شاركوا فيها على نطاق ضيق . . ربما لأنهم أجبروا على خوضها !

و هو يريد أن يوهمهم أيضاً أن هؤلاء المسيحيين بالاسم إنما أوقدوا الحروب الصليبية لتحقيق غايات سياسية . و ليس للوصول إلى أهداف دينية !

و بناء على ما تقدم فالحروب الصليبية هى أبعد ما تكون عن صفة الحروب الدينية !

ذلك هو ما أراد السيد العريان أن يقوله لرواد السوق بعد لف و دوران

و فيما تبقى من كلام تأكيد قاطع لهذا الذى سلف ، فهو ينفى أن جميع من حاربوا الصليبيين كانوا مسلمين ! و ما دام المسيحيون غير المؤمنين هم الذين كانت لهم اليد الطولى فى الحرب ، و ما دام « الذين كانوا يحاربون الصليبيين تحت رأية أولاد العرب لم يكونوا جميعاً من المسلمين» فكيف نسميها حروباً دينية !

و يبدو أن الرجل اضطر إلى استعمال كلمة المسيحيين غير المؤمنين لأنه لم يعثر على مرجع تاريخى يفيد باشتراك بعض المسلمين فى الحرب إلى جانب الصليبيين ! ذلك كله يردده شخص ينتسب إلى الاسلام بالرغم

من أن الوقائع التاريخية ، سواء فى التاريخ الاسلامى أم فى التاريخ الأوروبى ، تؤكد أن الحروب الصليبية هى حلقة فى الصراع بين النصارى و المسلمين ، و أنها جاءت نتيجة لنداءات البابا « أربان » بعد هزيمة جيوش الامبراطور البيزنطى النصرانى « رومانوس ديوجين » على أيدى جيوش الأمير المسلم « ألب أرسلان » فى موقعة « ملازكرد » عام ١٠٧١م ، وبالرغم من أن أولى الحملات الصليبية قادها القسس والرهبان و هم يحملون الصلبان شعاراً لهم و لحربهم ، و قد حدث هذا يوم أن كانت الكنيسة و رجالها هم أصحاب الحل و الربط فى طول أوروبا و عرضها .

و لكن ما هى حكاية « أولاد العرب » التى ضمنها العريان كلامه ؟ !

إن التاريخ لينفيها نفياً قاطعاً ، كما ينفى سابقاتها و لاحقاتها من أكاذيب الرجل و تلفيقاته . فتاريخ تلك الفترة من عمر الأمة الاسلامية أثبت أن عبء الدفاع عن أراضى المسلمين إنما اضطلع به رجال كصلاح الدين و المظفر قطز و الظاهر بيبرس وغيرهم ممن لا يعرفون شيئاً اسمه « العروبة » ، و لا تربطهم بها أية صلة ، أما جيوشهم فقد كانت تمثل أقاليم العالم الاسلامى كله ، و قد هبت من كل حدب وصوب — حين سمعت نداء الجهاد فى سبيل الله — لتردد المغيرين عن بلادها . ثم ألم تكن الجزية التى يدفعها « أهل الذمة » هى المقابل للحماية التى يتعهد بها الحاكم المسلم لهم ؟

إذن كيف يدعى هذا العريان أن الذين كانوا يحاربون الصليبيين

تحت ما أسماه « رأية أولاد العرب » لم يكونوا جميعاً من المسلمين .. إلا أن يكون مدفوعاً ليقول ماقال ابتغاء لخير يصيبه أواتقاء لأذى يناله !

« . . والمسألة أن كلمة الاسلام فى ذلك الوقت كانت صفة من صفات العروبة » .

فى هذه الجملة القصيرة تتجسد الفكرة الرئيسية فى أى شعار قومى . . فالقومية هى دعوة علمانية تعتبر الدين عاملا من عوامل وجود الأمة أو الشعب ، لأنها لا تريد له أن ينفرد بتكوين المجتمعات

أما قوله « فالاسلام بصرف النظر عن أنه دين هو عنصر من عناصر وجود الأمة العربية » فلايعدو أن يكون تأكيداً أوضح للحقيقة التى سلفت ، بالاضافة إلى أنه نوع من الهذيان ، لأننا إذا صرفنا النظر عن الاسلام كدين فلن يبقى بعد ذلك شئ .

والحديث عما يسمى « بالأمة العربية » — بعد هذا كله — هو حديث عن شئ لم يقع !

الأمة العربية لم يكن لها وجود قبل مجىء الاسلام و لا بعده ، فى الجاهلية كانت تعيش مجموعة من القبائل المتفرقة المتحاربة أبداً ، لا يمكن أن يطلق عليها وصف « الأمة » حتى من قبيل التجاوز ، وبعد الاسلام نشأت « الأمة الاسلامية » ، و أصبح الكلام عن « العرب و العروبة و الأمة العربية » حديثاً مردوداً و نغمة نشازاً ، لأن العرب أصبحوا مسلمين ، و لأن تقسيم البشرية — كما ورد فى القرآن — أصبح تقسيماً عقائدياً ، وانحصر فى فئتين اثنتين لاثالثة لهما : حزب الله وحزب الشيطان .

يتناول هذا الباب نواحى شتى من الحياة العلمية و الاجتماعية و الثقافية و الدينية فى الهند ، و ما أضافه المسلمون إلى ثروة الهند منذ دخولها وما أدخلوا عليها من اصلاحات و تجديدات فى مختلف نواحى الحياة

الثقافة الإسلامية في الهند

و عما أنتجه المسلمون فى الهند فى العلوم الاسلامية و مازادوا على تراثها ومن نبغ فيها من العلما. الكرام و المؤلفين العظام ، و عن مظاهر نشاط المسلمين العلمى و الدينى و مراكزه الكبيرة فى العصر الحاضر .

حكومة الاتراك - ١٢٠٠ - ١٠٠٠
حالة الهند العامة فى هذه الفترة

الأستاذ عبد الحليم الندوى
رئيس قسم اللغة العربية بالجامعة الاسلامية دهلى

أدى الانهيار العام الشامل ، الذى مرت منه الهند ، خلال القرن العاشر : إلى وقوع خلافات شديدة ، بين مختلف الأمراء و الرجوات الهنادكة ، الذين اصطدموا مع بعضهم بعضاً ، لاحراز التفوق و السيادة على الامارات و دارت بينهم حروب طاحنة التهمت لهبها خيرة رجال الأسر المالكة الهندوكية ، و معظمها فى قبيلة الراجبوت ، ثم لم تكن توجد ، فى هذه الفترة ، حكومة مركزية قوية تبسط سلطانها على هذه الامارات و الدويلات و تدين لها بالولاء و الوفاء ، وكانت هناك ، فى أقصى الشمال الغربى من البلاد ، فى نفس الوقت ، قوة ذات بأس شديد ، تنبرى على المسرح ، وهى تضمر فى نفسها رغبة فى استغلال هذه الحالة التى كانت تعيشه الهند إذ ذاك ، من اختلاف وانتشار ، وتفكك و تطاحن ، و تخاصم و تشاجر ، و القوم فى غفلة عنها ، لايعبأون بها ، ولما سنحت الفرصة الموانية انقضت هذه القوة ، بكل ما لديها من عدد و عدة ، على الهند ، و سيطرت عليها بين عشية وضحاها ، « و بسطت سلطانها من كابل إلى سومنات و من ملتان إلى كالنجر » (١) .

(١) الدكتور تارا تشند ص 113

وكانت هذه القوة ، هى قوة الاتراك من ملوك أفغانستان و على رأسهم البتكين ، مؤسس دولة غزنة العظيمة .

محمود الغزنوى و غزواته فى الهند :

غزنى أو (غزنة) مدينة حصينة كبيرة فى أفغانستان ، فتحها البتكين أحد ضباط الحكام الأتراك من ملوك بخارا فى سنة ٩٦٢ واتخذها عاصمة للدولة الجديدة التى أسسها فى هذه البلاد القابعة فى أحضان الجبال ، (١) فلما توفى ألبتكين خلفه صهره ، سبكتكين فى الحكم فى سنة ٩٧٧ ، و قام السلطان ، بعد توليه الحكم مباشرة ، بتوسيع رقعة حكومته نحو الجانب الجنوبى من أفغانستان و بلوجستان ، حيث فتح الدويلات و المقاطعات القريبة من مقره ، ثم توجه نحو الجانب الشرقى من إمارته ، حيث كان يحكم ملك هندوكى « جيبال » من أسرة « شاهيا» على كابل ، و كانت حكومته تمتد إلى شرقى أفغانستان و البنجاب إلى أن تتصل بنهر بياس ، و كانت كل من كابل و « ويهند » أو « أوهند » ولاهور من المدن الهامة من مملكته . فلما توجس الملك الخطر من قبل سبكتكين و جيوشه ، خرج يقاومها و يصدها عن التقدم ، و لكنه منى بالهزيمة ، و وعد بالتنازل عن الجزء الشرقى من مملكته ، و دفع مبلغ معلوم كغرامة ، و لكنه نكث عن وعده ، ما أغضب سبكتكين فهاجم عليه مرة أخرى و تغلب عليه ، و أخضعه لسلطانه .

و بعد وفاة سبكتكين فى سنة ٩٩٧ ، تولى الحكم بعده ، ابنه محمود

(١) راجع تاريخ الأمم للخضرى ونزهة الخواطر للشيخ لهندى الجليل العلامة عبد الحى رح .

الذى سجل اسمه فى التاريخ ببطولاته الرائعة وأعماله الجليلة ، وحبه لنشر الاسلام و تفانيه فى علو شأنه ، و كان الأتراك فى القرن العاشر ، يمتلئون من هذه الرغبة الجامحة (١) فقد كانوا ينتمون إلى قبيلتى ساكا و هن اللتين ، قبل خمسة قرون تقريباً ، كانتا قد بعثتا الرعب و الفزع فى قارتى آسيا و أوروبا و ملئتاها فساداً و طغياناً وسلباً و نهباً ، وقتلا و غارة ، و اليوم ، وبعد أن هداهم الله إلى الاسلام وأخضعهم لطاعته ، أصبحوا من حماة حمى الاسلام يضحون فى سبيله بكل غال و نفيس ، ويقهرون كل جبار عنيد ، ليدخل فى دين الله طوعاً ، أويقبل أداء الجزية كرها ، فخرج رجالها ، بما لهم من قوة و شوكة ، و صبر و جلد ، توارثوه من آبائهم القدماء لينشروا رأية الاسلام على هذه التربة الهندية ، و يخضعوا من تكبر و تعالى إما أمام الله الواحد القهار ، أو أمام سيفهم البتار ، « ولم تمض إلا ثلاثة قرون حتى أصبحوا مسيطرين على رقعة شاسعة من الأرض ، اشتملت على مساحة كبيرة من آسيا و مصر و شرقى أوروبا (٢) .

كان محمود ينتمى إلى السلالة التركية ، فمن الطبيعى إذن أن يعمد إلى اختيار الشباب الاتراك ليكون جيشاً قوياً يعتمد عليه فى غزوه للهند ، التى لا يمكن قهرها إلا بقوة لا تلين قناتها ومهما حمى الوطيس ، فلما تم له ذلك ، سار بجيشه نحو الهند ليكفر ما اقترف من ذنب لقتاله مع الأمراء المسلمين فى مستهل حياته كسلطان غزنة ، فلقد ذكر

(١) استينلى لين بول ص ٢٨

(٢) الدكتور تارا تشند ص ١١٣

ابن الأثير إنه أعلن « أنه يريد أن يغزو الهند غزوة تكون كفارة لما كان منه من قتال المسلمين » (١) ، فقضى محمود خمسة و عشرين سنة من عمره تقريباً فى غزو الهند حيث قام بشن ست عشرة غارة شديدة عليها ما بين ١٠٠٠ و ١٠٢٦ ، وحصل خلالها على مغانم كثيرة وأموال طائلة من ذهب و فضة و لئال و احجار كريمة ، و رفع لواء الاسلام فى هذه البلاد « و أخذت شهادة التوحيد يتردد صداها فى بلاد مترامية الأطراف ، بينما تتداعى الأصنام و الهياكل واحداً بعد الآخر ، و تقوم على انقاضها بدلا منها بيوت إذن الله أن ترفع و يذكر فيها اسمه » .

و فيما يلى تفاصيل بعض غزواته الهامة التى قام بها فى الهند :

(١) شن محمود أول هجومه فى سنة ١٠٠١ على مدينة بشاور ، القريبة من حدود ممر خيبر — و هو مدخل الهند — و كان يحكمها عصرئذ ، عدو أبيه القديم الملك الهندوكى « جيبال » ، فخرج الملك يناضل محموداً بجيش يشتمل على اثنى عشر ألف فارس ، و ثلاثين ألف من المشاة ، و ثلاثمأة فيل ، أما محمود فانه التقى بعدوه بقوة قوامها خمسة عشر ألف من خيرة الفوارس الأتراك ، و دارت معركة رهيبة بين الجمعين أسفرت عن هزيمة (جيبال) ، فأسره محمود مع خمسة عشر رجلا من أبنائه و أقربائه .

ولقد غنم محمود فى هذه الحرب ، غنائم كثيرة ثمينة ، ومنها قلادة نادرة كان الملك جيبال يتزين بها و لقد قدر قيمتها ابن الأثير بمأتى ألف

(١) ابن الاثير جزء ٩ ص ٥٨

دينار ، إلى جانب قلائد و أشياء ثمينة كثيرة أخرى ، قدرها صاحب تاريخ فرشته « بنحو خمس عشرة قلادة من الجواهر النفيسة قدرت كل واحدة منها بنحو مأة و ثمانين ألف دينار ، كما استولى محمود على كثير من الأسرى » .

« و لم يكن محمود رجلا فظاً غليظ القلب ، فانه نادراً ما لجأ إلى سفك دم من غير حق أو غير مبرر ، و لذلك فانه بعد إتمام معاهدة الأمن أطلق سراح الراجا (جيبال) و أصدقائه ، و لكن جيبال مندفعاً بشعور لاذع للاهانة و الهزيمة التى لحقت بجنسه آثر الموت على حياة الذل و الهوان فألقى بنفسه فى نار كانت قد أشعلت لاحراق جثة ميت هندوكى » (١) .

(٢) و فى سنة ١٠٠٨ خرج محمود من غزنة فى مهمة لاخضاع « آنند بال » ابن الملك جيبال ، الذى كان قد خلق له مصاعب كثيرة ، فيقول المؤرخ الانجليزى « استينلى بول » فلما أطل محمود من ممر خيبر وجد جميع الرجوات من البنجاب وحلفائهم قد تجمعوا له بقيادة آنندبال و لم يسبق لمحمود ان واجه مثل هذا الجيش العرمرم ، فعمد إلى حفر خنادق و إقامة معسكراته هناك ، تريث أربعين يوماً ، يتحين الفرصة المواتية للهجوم ، و جيش العدو يتزايد و يتفاقم يوماً بعد يوم ، مما هاله الأمر و أفزعه الموقف ، فأرسل من رجاله نفرا يستطلعون الأمر و يأتوه من خبر العدو ، فلما وصلوا بالقرب من مواقع العدو ، هاجمهم رجال من قبيلة ككر (Gakkar) و هم قوم همج أشداء حفاة

(١) استينلى لين بول ـ ص ٢٩ :

الأقدام عراة الرؤوس و الأجسام ، فطاردوهم و ضاقوا عليهم الخناق ، حتى تملك جيش المسلمين الرعب و الفزع ، فلزموا خنادقهم و التجئوا بمعسكراتهم ، و فى هذه الأثناء تقدمت جيوش الهنادكة بقيادة آنند بال لكى تستغل الموقف و تقضى على جيش المسلمين فى هذه الصحراء القاحلة الجرداء التى لا ماء بها و لا خضرة و لا مأوى ، و كان المسلمون قد بلغوا من الخوف و الذعر حداً ، حتى أن محموداً كاد أن يعلن التقهقر و العودة ، إلا وحدثت مفاجئة ، غيرت مجرى الحوادث ، مفاجئة إن هى إلا آية من آيات الله الذى أراد أن يتم النصر للمسلمين، ويكتب لهم الغلبة بفضله ، فلقد فزع الفيل الذى كان يركبه آنند بال ، و فر به خارج المعركة فظن رجاله أنهم خسروا المعركة ، فانتشر الرعب والشبهات فى صفوفهم فتبعوه هم أيضاً دون أن يحققوا الخبر . فما كان من محمود و رجاله إلا و انقضوا على أعدائهم و عملوا فيهم القتل بلا هوادة ، و ظل المسلمون يقتلون أعداءهم إلى يومين ، فغلبوا عليهم بعد ان كانوا يغلبون ، كما حصلوا على مغانم كثيرة و أسرى كثيرين » (١) .

و بعد الانتصار فى هذه المعركة الفاصلة واصل محمود زحفه نحو (كانجرا) (نكركوت) أحد المعاقل الحصينة للهنادكة ، وكانت توجد بها معابد هندوكية هائلة ، و قد تجمعت فيها مبالغ طائلة من الثروة من ذهب وفضة وجواهر وأحجار كريمة ، ترسل إليها من جميع أنحاء الهند، تقرباً إلى الالهة و تزلفاً إلى الأوثان و الأصنام ، ففتحها دون مقاومة أو صعوبة تذكر ، و سيطر على جميع هذه الأموال بالاضافة إلى أوان

(١) استينلى لين بول ص ٣٠

من الذهب و الفضة و بعض الحلى والمجوهرات ، و بذا خضعت مقاطعة البنجاب بأكملها لسيطرة محمود ، و يقول المؤرخ الهنـدى « فرشته » : و رجع بها (أى الغنائم من الأموال و الأسرى) إلى غزنة ، حتى إذا وصل إليها بسط كل غنائمه أمام الناس الذين أخذوا يفدون إليه من كل حدب و صوب ليتفرجوا على هذه الغنائم الثمينة والخيرات الوفيرة ، و بقى هذا المعرض مفتوحاً إلى ثلاثة أيام ، احتشد لرؤيتها حتى سفراء الممالك و رسلهم ، و بعد ثلاثة أيام وزع كل هذه الثروة و الأموال على الفقراء و المساكين و غيرهم ممن أراد أن يؤلف قلوبهم » و مما لا شك فيه بأن هذه الجوائز الثمينة كانت حافزاً كبيراً لالتحاق النـاس بجيش محمود لمواصلة هذه العملية المقدسة » (١) أى الجهاد فى سبيل الله و غزو الهند لاعلاء كلمة الله و محو الكفر و الشرك .

(٣) و فى سنة ١٠١٨ قام محمود بغزو مدينة متهرا ، التى كانت تعج بالمعابد الهندوكية الهائلة ، بها أصنام مرصعة بالاحجار الكريمة الثمينة و مطلية بالذهب و الفضة ، فسيطر عليها ثم توجه إلى مدينـة قنوج ، و لكن ملكها (جيال) آثر الفرار على مواجهة محمود لما تملكه الرعب و الفزع من بسالته و شجاعته ، فدخلها السلطان دون مقاومة ثم والى محمود زحفه إلى مدن أخرى فاستولى على بعض المدن و القلاع ، دون أن يلاقى أية مقاومة من أى شخص يذكر .

و لما عاد إلى غزنة بعد هذه الانتصارات أمر ببناء جامع غزنة و أنفق على أنشائه كل ما غنمه خلال هـذه الغزوات ، و كذلك أقام

(١) نفس المرجع بالاختصار .

مدرسة ضخمة ، لها مكتبة تحتوى على آلاف الكتب النادرة .

(٤) و بعد مضى عام واحد على غزواته السالف ذكرها ، أعاد محمود الكرة مرة أخرى فى سنة ١٠١٩ ، ليعاقب الملك « كنداتشندبلا » الذى كان قد طرد جيبال من الحكم . و نصب ابنه ملكا محله ، فخرج كندا لمناضلة السلطان و دارت معركة عنيفة بين الجمعين ، و لكن الملك الهندوكى لاذ بالفرار و قد ملىء رعباً وهلعاً واحتمى بقلعة كالنجر فزحف السلطان إلى القلعة و ألقى عليها الحصار ، فاضطر كندا من أجله على الخضوع و التسليم .

(٥) أما الغزوة الاخيرة ، و أهم الغزوات كلها التى قام بها محمود فى الهند ، فكانت هى غزوة « سومنات » ، الواقعـة على ساحل بحر العرب بمدينة كاتهياوار .

« و هنا يحدثنا المؤرخون أن الأخبار وصلت إلى سمع (السلطان محمود) أن الهندوس يحكون فيما بينهم كلما هدم معبداً أو حطم صنماً أن « سومنـات » (الصنم) غاضب على هذا الصنم و لو كان راضياً عنه ماستطاع محمود أن يحطمه ، ولهلك قبل أن يبلغه ، فعزم على غزوه وتحطيمه ظنا منه أن الهنود إذا فقدوه ، ورأو اما حل به ، عرفوا كذب ادعائهم و فاقوا إلى رشدهم ، ورجعوا عن عبادة الأصنام ودخلوا فى الاسلام .

كان فى هذا المعبد صنم يعرف بسومنات ، و كان من أعظم أصنام الهند ، يحجون إليه كل ليلة خسوف و تزعم الهنود أن الأرواح

إذا فارقت أجسادها اجتمعت عنده لينشئها من جديد فى جسم آخر على حسب ما كانت عليه ، من خير أو شر ، و ذلك على أساس فكرتهم فى التناسخ و هو التقمص ، وكان « شيفاً » عندهم هو إله الحياة والتبديل ، وكان سومنات أصبح عندهم هو القائم بهذا العمل ، و كانوا يدعون أن المد و الجزر الذى يحدث عندهم فى البحر ، إنما هو عبادة البحر له على حسب ما يستطيع ، و كان المعبد مبنياً على ست و خمسين سارية من الساج المصفح بالرصاص ، أوبصفائح الذهب المرصعة بالأحجار الكريمة كما يقول « جوستاف لوبون » أما سومنات الصنم نفسه ، فكان من حجر طوله خمسة أذرع ، ثلاثة مدورة ظاهرة ، و اثنان فى البناء ، و كان فى حجرة مظلمة تضيئها قناديل الجوهر الفائق ، كما كان عنده سلسلة ذهبية وزنها مائتا « من » (١) وعنده خزانة فيها عدة من الأصنام الذهبية و الفضية و عليها الستور المعلقة المرصعة بالجواهر ، كل واحدة منسوبة إلى عظيم » .

و كان الهندوس يحملون إليه كل نفيس و يغدقون على سدنته ، و له من الوقف ما يزيد على عشرة آلاف قرية ، فاجتمع فى البيت من نفيس الجواهر ما لا تحصى قيمته ، و كان من شدة تعظيمهم له (أنهم) يحملون له الماء من نهر « كنكا » المقدس على بعد مئات الأميال ، و يكون عنده من البراهمة كل يوم ألف رجل لعبادته و تقديم الوفود (من الزوار) إليه ، و ثلاثمأة رجل يحلقون رؤوس الزوار ولحاهم و ثلاثمأة رجل و خمسمأة أمة يغنون

(١) المن يساوى ٨٠ رطلا

و يرقصون (١) .

و لقد قال المؤرخ الانجليزى الشهير استنلى بول « و نصب داخل المعبد الصنم الشهير « لنكا » و هو عبارة عن عامود من الحجر ، مرصع بالاحجار و تضيئه قناديل ، كانت تعكس ضوءها على الستائر المزركشة و المزينة بالاحجار الكريمة (٢) .

ومهما يكن من شئ ، فان محموداً خرج من غزنة فى سنة ١٠٢٥ الميلادى الموافق لـ ٤١٦هـ قاصداً سومنات على رأس جيش قوامه ثلاثون ألف فارس بالاضافة إلى عدد كبير من جنود المتطوعين ، و اجتاز غابات و صحراء راجبوتانا ، إلى أن وصل « انهل وارا » فلما سمع الملك سولنكى ملك كجرات زحف قواته ولاذ بالفرار ، وواصل محمود سيره إلى أن وصل إلى الساحل ، يحارب و يخضع من اعترض سبيله من الملوك الهنادكة فى الطريق ، و يستولى على القلاع التى تبدى المقاومة و الصمود أمامه . إلى أن وقف أمام حصن عال متين ، يناجى السماء بعلو وكبرياء ، و وجد بأسواره مئات الألوف من سكان سومنات

(١) نزهة الخواطر ج ١ ، للعلامة المغفور له عبد الحئى وعبد المنعم النمر - تاريخ الاسلام فى الهند - ص٩١

(٢) استينلى لين بول - ص ٣٣ و قال المؤرخ نقلا عن و . و . هنتر المؤرخ الانجليزى المعروف أن لنكا (الموجود بمعبد سومنات) كان أحد اللنكات أو آلة تناسل الرجل الاثنى عشرة التى كانت قد نصبت فى مختلف الأجزاء من الهند .

«يتفرجون على المسلمين وكأنهم ينتظرون مصيرهم المحتوم على يد سومنات فقد كانوا واثقين أنه سيقطع دابرهم ، و سيأخذ بثـأر الأصنام منهم ، و كانوا يقولون : تعالوا يامعشر المسلمين ، لقد دعاكم سومنات ليهلككم جميعاً ، و يأخذ بثارات الأصنام التى كسرتموها » (١) ولكن المسلمين تسلقوا الجدران ، « ظل الصنم صامتاً لا يجيب إلى دعاء سدنته » (٢) وهنا تقدمت جماعة منهم إلىسومنات يلوذون به ويسألونه النصر، ويعفرون وجوههم « ولكن رغم ذلك كثر القتل فى الهنود حتى انهزموا ولجأوا إلى المعبد يدافعون عنه . وكانوا يدخلون إلى صنمهم ويعانقونه و يبكون ، ثم يخرجون للقتال ، وكان قتالا دموياً حاراً لعبت فيه العقيدة دورها فى دفع أهلها إلى الاستبسال فى الدفاع والهجوم ولكن استبسال الهنود لم يجد نفعاً أمام المسلمين ، بل دفعهم إلى الفناء جماعة بعد جماعة ، حتى لم يجدوا بداً من الفرار ، و ترك معبدهم فى يد المسلمين يفعلون به ما يشاؤن ، و لاذوا بالمراكب ، و لحقهم المسلمون فقتلوا بعضاً و أغرقوا بعضاً ، وهكذا تم النصر للمسلمين ، واستولى محمود على كل ذخائر المعبد ومجوهراته بعد ما هدمه و حطم صنمه ، « ولقد بلغ عدد القتلى من الهنادكة خمسين ألف قتيلا » و قد توسل الكهنة أن لا يمس معبودهم و يعطوه ما شاء من مال ، و لكنه أبى ، فانه لم يخرج لطلب المال ، وإنما خرج لاعلاء كلمة الله و هدم هذه الأصنام التى تعبد من دون الله (٣) .

(١) عبد المنعم النمر ، تاريخ الاسلام فى الهند ص٩١

(٢) استيفلى لين بول ص ٣٤

(٣) عبد المنعم النمر ـ تاريخ الاسلام فى الهند ص٩٢

و يقول الرواة أن قيمة ما غنمه محمود من انتصاره على هذا المعبد يقدر بعشرين ألف دينار ، أما الصنم الأكبر فان محمودا بعد اماكسره نقل بعض أجزائه و أبواب معبد سومنات إلى عاصمته غزنة .

وبعد تحقيق هذا الانتصار الرائع ، الذى قمع دابر الهنادكة وأزال عنهم كابوس قداسة الأصنام و قوتها الخارقة قفل محمود راجعاً إلى عاصمته غزنة محملا بالغنائم ، و كان قد وهن العظم منه لكثرة ماخاض المعارك و قاد الجيوش و احتمل من المصاعب و الأهوال أثناء غزواته للهند ، فلزم عقر داره ، ينظم شؤون مملكته منها ، إلى أربع سنوات ، حتى توفى فى ٣٠ ابريل سنة ١٠٣٠ الميلادى الموافق لشهر ربيع الأول ٤٢١ الهجرى ، و أوصى لابنه محمد بالحكم فى غزنة ، وعين أحمد بن نيالتكين قائداً لجيوشه بالهند ، و نائباً عنه فى الملك ، و دفن بفناء مسجد عظيم بعاصمة غزنة

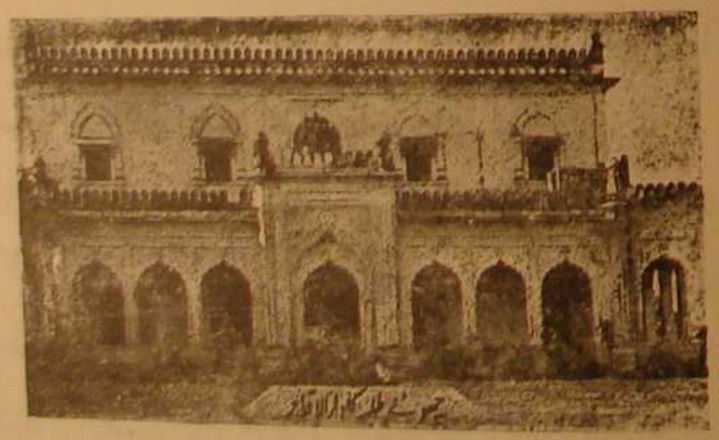

تيبو سلطان

الدكتور السيد محمد يوسف

كانت الدولة المغولية قد فقدت قوتها و شوكتها فى القرن الثامن عشر الميلادى و كانت آثار الضعف و الاضمحلال بادية فى معالجتها للفتن الداخليـة و فى عجزها أمام تدخل الدول المجاورة أيضاً — كانت جماعات المرهته شوكة فى جنب الدولة التى كانت سلطتها تتقلص يومـاً فيوماً و كان جهازها الادارى و الحربى قد أصيب بشلل بحيث لم تستطع الصمود أمام نادر شاه ملك إيران ، الذى هجم هجوماً عاصفاً حتى دخل دهلى عنوة و ارتكب هناك من القتل و أعمال النهب و السلب مايضرب بها المثل إلى الآن فى القسوة و الجشع — على كل حال كان انحلال الدولة المغولية هو الذى شحذ أطماع نادر شاه .

و بالطبع كانت حملته الهوجاء ضربة قضت على البقيـة البـاقية من مهابتها فى أعين الثوار و أعداء الاسلام فى الداخل ، فكانت النتيجة أن تشجعت جماعات المرهته و تغلبت على المقاطعات الشمالية ، فثـارت حميـة ملك الأفغان ، أحمـد شاه الأبدالى للدفاع عن حوزة الاسلام و كبت جماح أعدائه ، و إنجاد حكومة دهلى فى القيام بمهمتها ، فنزل أحمد شاه

الأبدالى إلى سهول الفنجاب و احتشدت المرهته بقضها و قضيضها لمحاربته حتى كانت معركة حاسمة بين الفريقين أجلت عن خسائر فادحة بين جموع المرهته و الفتح المبين للاسلام على يد المجاهدين الأفغان إلا أن أحمـد شاه الأبدالى رجع إلى موطنه بعد انتهاء المعركة ، ظناً منه أن حكومة دهلى ستتمكن من تحمل مسئولياتها فيما بعد ، ولـكن حكومة دهلى استمرت فى سباتها و ما زالت تزداد ضعفاً ووهناً حتى تنازلت عن مقاومة الثوار و رضيت بالمساومة معهم على أن تكون الجباية و ما إليها للمتغلبين وتبقى السيادة الرسمية لعرش المغول — و فى الوقت نفسه أغفلت حكومة دهلى تماماً عن تقدير أهمية الأحـداث المعاصرة فى المحيط الدولى و اخلال توازن القوى الناشئ منها .

فقد كانت الهند بمنجاة من الغزو الخارجى عن طريق البحر مادامت الدول الاسلاميـة فى الشرق الأوسط — و بالأخص تركيا و مصر — مسيطرة على البحر الأبيض المتوسط و البحر الهنـدى — أما فى القرن الثامن عشر فقد كانت الدول الأفرنجية خرقت الحصار المفروض عليها و وصلت إلى الهند على الرغم من أساطيل المسلمين المعترضة لها ، و بما أن الدول الأفرنجية كانت متفوقة فى الآلات و المعدات الحربية كان قد وضح لكل ذى عينين أنها ترمى إلى كسح أساطيل المسلمين عن مياه البحر الهندى و الاستيلاء على التجارة الشرقية القديمة ، و بعد ما وصل البرتغاليون و الهولنديون و الفرنسيون و الانجليز إلى الهند بذلوا جهدهم للحصول على تسهيلات و حقوق فى التجارة كما أنهم انخرطوا فى خدمة جيوش الدويلات المتحاربة و نافسوا فيما بينهم فى تقديم العتاد الحربى

لها و هكذا بدأوا يتدخلون فى الشوؤن الداخلية و يمهدون السبيل للحكم الاستعمارى فى البلاد .

مع الأسف لم يوجد بين الملوك و الأمراء إذ ذاك من يقدر ببعد نظره ما سيكون لهذا العنصر الأجنبى من تأثير فى مستقبل البلاد ، أللهم إلا تيبو سلطان ، أمير ولاية ميسور بجنوب الهند ، فانه انفرد بتوجيه نشاطه إلى الحقل الدولى .

بعث تيبو رسله إلى سلطان تركيا يلفت نظره إلى خطورة الموقف الناشئ من تقدم الأفرنج لا بالنسبة إلى الهند فحسب بل بالنسبة إلى العالم الاسلامى كله ، و يؤكد له ضرورة التحالف و إقامة جبهة متحدة للدول الاسلامية كلها . ويطلب من سلطان تركيا تزويده بخبراء ومهندسين لتنشيط الصناعات المحلية و بناء الآلات الحربية ، كذلك تيبو سلطان هو أول من فكر فى استغلال روح العداء والمنافسة بين الأمم الأفرنجية — و لا سيما الانجليز و الفرنسيين — لصالح الاسلام والمسلمين — نعم أجاب سلطان تركيا إلى بعض طلبات تيبو فخلع عليه إمارة ميسور مستقلة عن الدولة المغولية بدهلى ، وكذلك أرسل إليه خبراء ومهندسين ليستعين بهم فى التنمية الاقتصادية لبلاده ، إلا أن تركيا كانت تميل إلى الانجليز ضد الفرنسيين بينما كان تيبو يعتبر الانجليز عدوه الأول فتباينت السياسة الخارجية للدولتين ، ثم إن رسل تيبو لم ينجحوا لدى بلاط فرنسا أيضاً لعقد هدنة بينها و بين انجلترا ، و بعد قليل كانت حملة نابليون على مصر واستعداداته للاستيلاء على الهند ، بينما حنقت عليه حكومة دهلى لخروجه عن طاعتها فدخل عاملها بالدكن الملقب بالنظام فى حلف مع الانجليز

فتمكنوا من شن غارة شعواء على سرنكاپتم عاصمة إمارة ميسور حيث استشهد تيبو سلطان داخل أسوار مدينته المحصنة فى حومة الوغى دفاعاً عن عز الاسلام و كرامة المسلمين .

لقد كان تيبو سلطان من الملوك الأفذاذ الذين قيض الله لهم أن يكونوا زعماء ملة ورواد نهضة وقوادجيش ، ولد تيبو فى أحلك الأوقات حينما كانت الملة الاسلامية مصابة بالانحلال الداخلى و مهددة بالغزو الخارجى ، و تولى عرش إمارة صغيرة حتمت عليها الأوضاع الداخلية والخارجية معاً أن تعتمد على نفسها وتواصل الجهاد ضد الانجليز منفردة بدون أن تلقى عوناً مادياً أو مساندة دبلوماسية من أية جهة إسلامية أو أجنبية ، لم يرزق أحد من الملوك و الأمراء المعاصرين مثل ما رزق تيبو من بعد النظر و سداد الرأى فى تقييم التطورات فى الحقل الصناعى و التجارى ، و التغييرات الطارئة على الأوضاع السياسية و الدبلوماسية على المستوى العالمى الدولى فى القرن الثامن عشر — قدر تيبو فى نفسه أن نبوغ الأمم الأفرنجية و تفوقها فى الصناعات و المعدات الحربية مع سبقها إلى اكتشافات خطيرة فى العلوم الطبيعية — كل ذلك يشكل خطراً لا يمكن التغافل عنه أو الاستهانة به ، لا بالنسبة إلى سلامة نفسه و بقاء عرشه بامارة صغيرة — إمارة ميسور بجنوب الهند فقط ، بل بالنسبة إلى البلاد الاسلامية كلها و الجزء الشرقى من العالم كله ، ثم إن تيبو رأى أن الأمم الأفرنجية و إن كانت متفقة بعضها مع بعض فى العداء ضد الاسلام والنوايا العدوانية ضد الشرق إلا أنها كانت عرضة للتنافس فيما بينها و فعلا كانت الحرب قائمة على قدم و ساق بين فرنسا وانجلترا

للحصول على أكبر نصيب من موارد الشرق ، فكر تيبو فى استغلال روح المنافسة هذه لصالحه بدفع الأمم الأفرنجية بعضها ببعض ، إنما كان عليه أن يختار بين الانجليز و الفرنسيين للهدنة الموقتة ، فلاحظ أن الانجليز يتميزون بصفة المثابرة و ضبط النفس و التفكير الهادىء و تدبير المكايد و الحيل و البراعة فى الأساليب الدبلوماسية بحيث يمكن التكهن بأن الغلبة ستكون لهم فى المستقبل ، و لذلك قرر تيبو اعتبار الانجليز العدو الأول ، فأهاب أولا بالنظام — عامل حكومة دهلى بجنوب الهند — و المرهته أن لايتفانوا بل يكونوا جبهة متحدة لمقاومة الغزو الخارجى ، إلا أنه وجدهم سادرين فى غيهم ، متغافلين عن العدو الجاثم المتربص بهم ، مقتنعين بالسيادة الرسمية ، فاضطر تيبو إلى الخروج عن طاعة حكومة دهلى و إعلان الاستقلال الذاتى لامارته الصغيرة مهاجعله ينشد أصدقاء فى الخارج ، فأقام حملة دبلوماسية لانذار الأمراء والملوك المسلمين بخطورة الوضع الدولى واختلال توازن القوى ضدهم جميعاً ، فبعث رسله إلى أميرى إيران و أفغانستان يحذرهما من السياسة العشوائية و يؤكد عليهما ضرورة التحالف والتعاضد لتفادى العواقب الوخيمة بعد استفحال أمر الافرنج ، فنجحت مساعى تيبو إلى حد أن أمير أفغانستان تحرك بجموعه على الثغور الهندية الشمالية الغربية إلا أن الانجليز أزجوا عقاربهم و سمموا العلاقات بين أفغانستان و إيران فأحجم أمير أفغانستان عن التدخل فى شؤون الهند لخوفه من أن تنتهز إيران تلك الفرصة للطعن من الخلف ، ثم وجه تيبو رسله إلى سلطان تركيا يسأله التحالف و المساعدة ضد الانجليز إلا أن تركيا كانت إذ ذاك تعانى الضغط

من قبل روسيا و كانت تأمل من الانجليز العون ضد روسيا ، فلذلك لم تلتق سياسة تركيا الخارجية بسياسة تيبو ، فقدم سلطان تركيا لتيبو التأييد الأدبى والاخلاقى والعون الاقتصادى إلا أنه اعتذر من الاشتباك فى أى عمل عدوانى ضد الانجليز ، ثم أمر تيبو رسله بالتوجه إلى بلاط فرنسا إلا أن فرنسا كانت إذ ذاك مشغولة فى إصلاح شؤونها الداخلية و كانت علاقاتها الرسمية مع الانجليز تتأرجح بين الحرب و السلم وفقاً للصالح الوقتية ، فلم تستطع التحالف مع تيبو علناً مع أنها كانت المنافس الأول و العدو اللدود للانجليز فى المنطقة الهندية ، هذا و قد أبان تيبو لسلطان تركيا أنه لا يطمئن إلى نوايا فرنسا أبداً إلا أن المصلحة تقتضى الحلف معها للقضاء على الانجليز فقط ، على كل حال فشلت حملة تيبو الدبلوماسية لظروف قاهرة إلا أنه يستحق كل إجلال لبعد نظره وحسن تقديره لمجرى الحوادث و جده فى تدبير الوسائل على المستوى الدولى وسيبقى اسمه عظيماً خالداً فى التاريخ ولو أن الاقدار و الظروف لم تساعد فى النجاح .

« بقية المنشور على صفحة ٨ »

لقد كان من لطف الله بهذه الأمة العربية أن يسمح لهؤلاء الذين يتجهون اتجاهاً معارضاً للاسلام أن يطبقوا مشاريعهم ، و يحققوا أغراضهم ، إن هذه الأمة العربية يريد الله أن تسير دائماً مرتبطة برسالة الاسلام ، لذلك جاء على المسرح العربى بطريقة خاصة هؤلاء القادة الذين ثاروا على الطبيعة العربية الاسلامية ، و أقصوا الاسلام و المسلمين عن الميدان . لقد كان فى كل مرحلة من مراحل هذه الرحلة الطويلة أن تتدخل قدرته فى حريتهم ، و فى تطبيقهم لمشاريعهم ، و لكن الله تعالى أطلق لهم العنان ، و تركهم يعملون ما يشاؤون حتى يتجلى للأمة العربية أن هذه القيادات لا تستطيع أن تسعد الأمة العربية ، و أنها عقيمة غير منتجة ، غير موفقة ، و ذلك هو مصير كل من عارض الرسالة المحمدية و أراد أن يزاحم القيادة النبوية ، هذا مصير كل متنبئ و هذا مصير كل ثائر على نبوة محمد ﷺ و قيادته الخالدة العالمية ، إننى لا أعتقد أن قوله تعالى : « إن شانئك هو الأبتر » مخصوص بهذا الحلف العربى (١) الذى كان منافساً للنبى ﷺ و منابذاً له ، وأن كلمة الأبتر ينحصر معناها فى العقم النسبى أو العقم النسلى . إنها أعم من ذلك ، و أوسع معانى و آفاقاً من هذا التفكير المحدود « إن شانئك هو الأبتر » كل من عاداك يا محمد عليك الصلاة و السلام ، وكل من يريد أن ينافسك فى قيادتك لهذه الأمة العربية و للانسانية وكل من أراد أن يقطع صلة هذه الأمة عن هذه القيادة ، و يريد أن يسيطر عليها و يتملكها ، ويريد

(١) سماه بعض أصحاب السير العاص بن وائل السهمى .

● العالم الاسلامى أسرة هذه الفئة المؤمنة المنتشرة فى الكرة الأرضية كلها وهبت نفسها لله وآمنت بوعده و صدقت بكلماته و وضعت مكاسبها و مواهبها ومؤهلاتها فى سبيل الدعوة ، فتلاشت لديها كل هذه الفروق و الفواصل و الحدود و القيود و الألوان و الأوطان التى يتغنى بها أهل هذا الزمان « ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين » يلتقى فيها العربى مع

العالم الإسلامي

بروى

الأخ الهندى و الباكستانى و الأفغانى و التركى و الاندونيسى يشارك بعضه بعضاً فى آلامه ومسراته و شدته و رخائه ، و يشد أزر أخيه فى مشكلاته وأزماته امتثالا لأمر الله تعالى ، والمسلمون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر و الحمى .

أن يقصى العنصر النبوى ، العنصر الروحى ، المشرق المبارك الميمون من تفكير هذه الأمة و مسيرها ، إن مصيره العقم إن مصيره الخيبة و الاخفاق ، إن مصيره انقطاع الأثر و خمود الذكر ، هذا هو مصير مسيلمة الكذاب ، و هذا مصير الأسود العنسى و طليحة الأسدى و السجاح ، و هذا مصير أبى طاهر الجنابى و عبيد بن ميمون القداح و حسن بن الصباح وبهاء الله ايرانى و هذا مصير غلام أحمد القادياني ، و هذا مصير الزعماء القوميين المتطرفين المبغضين للاسلام و المسلمين فى كل دور من أدوار التاريخ ، إن كل من يريد أن يتغلب على هذه الأمة و يقصيها عن القيادة المحمدية الخالدة ، إن مصيره مصير الشانئ الأبتر الذى أنبأ به القرآن ، وخلده التاريخ ، فليست هذه الآية محدودة المعانى، كما ذكرها المفسرون — جزاهم الله خيراً — و لكن مع تقديرى لما كتبوه أريد أن أزيد عليه : إن هذا مصير كل شانئ لمحمد ﷺ ، و لكل مزاحم له فى الزعامة التى كتبت له .

لا يسمح التاريخ الصادق ، و لا تسمح الفكرة البشرية السليمة ، و لا يسمح العقل الواعى الذى يستنتج من الحوادث النتائج الصحيحة ، أن يمنح هؤلاء القادة حق إعادة التجربة ، إن التجربة المخفقة فى حياة الفرد خطر جداً و لكن تجربة قيادة الأمة فى مصير الأمة أشد خطراً من تجارب الحياة الفردية التى يجربها الأفراد فى حياة الأفراد فى نطاق محدود .

الدرس الثانى

أما الدرس الثانى فهو أن هؤلاء القادة هم الذين يعبدون نفوسهم ،

هم الذين يعبدون كراسى الحكم ، هؤلاء الذين يستهينون بكل شئ فى سبيل الوصول إلى أغراضهم ، و شهواتهم ، فى سبيل تحقيق خطتهم والمحافظة عليها ، هؤلاء الذين لا يخافون الله فى خلقه ، و لا يخافون الله فى الأديان ، و لا يخافون الله فى حرية الأفراد ، إن هذا الطراز من القادة الذين لا يرجون اليوم الآخر و لا يؤمنون بمصلحة فوق مصلحتهم و لا يؤمنون بمبدأ غير مبادئهم « أتعبدون ماتنحتون » الذين ينحتون ثم يعبدون ، هذه المثل العليا ، هذه القيم والمفاهيم ، هذه النظم والفلسفات لا يؤمنون بغيرها ، هؤلاء عقوبة من الله لهذه الشعوب ، هؤلاء هم الذين صورهم القرآن التصوير الدقيق التصوير الذى لا تصوير فوقه « و من الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ، و يشهد الله على مافى قلبه و هو ألد الخصام ، و إذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث و النسل ، و الله لا يحب الفساد ، وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم و لبئس المهاد » أى تصوير أبلغ ، أى تصوير أصدق و أدق من هذا التصوير أليس هذا هو التصوير الذى ينطبق على هؤلاء القادة « و من الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا » اقرأوا ما يقوله هؤلاء القادة و ما يكتبه وكلاؤهم وأنصارهم فى موضوع الانسانية و الحرية و الديموقراطية و الاشتراكية ، و حقوق الانسان ، و فى العدالة الاجتماعية من الكلام الرنان البليغ « وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم، و إن يقولوا تسمع لقولهم » استمعوا إلى أى إذاعة فى هذه العواصم العربية ، الكلام المعسول الحلو ، الذى يطرب الأسماع ، ويهز الأفئدة و إذا رأيتموهم فى صورهم التى تنشر فى الصحف تعجبكم أجسامهم ،

تتعجبون أهؤلاء العماليق الذين يملأون العيون وجاهة و شخصية انهزموا أمام اليهود ؟ استمعوا إلى هؤلاء البلغاء الذين استخدموا أفضل أساليب اللغة العربية و أقواها لنشر الدعاية لهم ، وإخفاق الباطل وإبطال الحق ، « و إن يقولوا تسمع لقولهم » و إذا أردتم تصديق القرآن و تفسيره الناطق العملى الذى لا تفسير فوقه فانظروا إلى هذه الحوادث الأخيرة فى الصحف و ما تركت من أثر فى نفوسهم و كيف خلعت قلوبهم ، واقرأوا قوله تعالى : «يحسبون كل صيحة عليهم » الحقيقة مصورة مجسدة فى هذه الآية القرآنية المعجزة الخالدة ، ألم يحسبوا كل صيحة عليهم ، هذا هو الدرس الثانى تتلقاه من هذه الحوادث الأخيرة ، ان الانسان قد تعود المقارنة بين الربح و الخسارة ، وكل إنسان فقد هذه الصلاحية، صلاحية المقارنة بين الربح والخسارة ، فانه يعرض نفسه لخطر أكبر و إنه عدو نفسه ، إن القرآن يقول : « و إذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها و يهلك الحرث و النسل » أنظروا إلى هلاك الحرث والنسل فى هذه الدول التى تنادى بالمبادىء الدجالة والفلسفات الحديثة ، وأنظروا إلى هلاك الحرث و النسل فى هذه البلاد التى يسيطر عليها هؤلاء القادة الذين لا يخافون الله و لا يتقونه ، إنهم قد جردوا بلادهم كما تتجرد الشجرة أيام الخريف من الزهور و الرياحين ، تتجرد من الأوراق تتجرد من صلاحية النمو و الازدهار ، تجردت هذه البلاد و أصبحت قاعاً صفصفا ، تجردت من جميع النعم الدينية والدنيوية، تجردت من العلماء الكبار ، تجردت من النوابغ الذين كانوا مفخرة بلادهم ، تجردت من الحرية تجردت من الثقة، هذه الثقة أفضل ثروة يملكها الانسان هذه الثقة

التى لم يزل يتمتع بها الانسان فى كل عصر ، كان الحكام فى قديم الزمان لا يجردون الانسان من هذه الثقة ، و لكن هذه الجمهوريات ، هذه القيادات التقدمية قد جردت الشعوب الاسلامية العربية التى هى من أبناء البلاد ، جردتها من كل نوع من الثقة ، و أصبحت هذه الشعوب فاقدة الثقة بصلاحيتها ، لا تثق بعقلها ، لا تثق بعملها ، لاتثق بمستقبلها ، التلميذ إذا فقد الثقة يسقط فى الامتحان مهما ملك من الكفاءة العلمية ، و المصارع إذا فقد الثقة بنفسه لا يستطيع أن يصارع الجندى إذا فقد السيف لابأس و إذا فقد البندقية لا بأس ، وإذا فقد الرصاص لابأس . و لكنه إذا فقد الثقة بنفسه ، إذا فقد الثقة بمبدئه الذى يقاتل له ، إذا فقد الثقة بمستقبل دينه الذى يناضل دونه ، إذا فقد الثقة بشرف أمته ، إذا فقد الثقة بأنه صاحب الرسالة ، و أنه صاحب الوصاية على العالم فقد فقد كل شئ .

إنها أكبر رزيئة رزئت بها هذه الشعوب — أيها الاخوان — و هى ليست رزيئة الوسائل الاقتصادية و إن كانت هى رزيئة و لكنها يمكن أن تتدارك ، و لكن الرزيئة التى لا رزيئة فوقها ، و إن الخسارة التى لاعوض عنها خسارة الشعوب فى ثقتها بنفسها ، وفى ثقتها بدينها ، وفى ثقتها بمستقبل حياتها فى ثقتها بتأريخها .

إن الحوادث ليس لها أهمية كبيرة فى تاريخ الأمم و الشعوب ، الشعوب كالأنهار الفياضة ، ترمى بالزبد ، ترمى فيها الأحجار ، ترمى فيها الاخشاب و أنها تفيض « فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ماينفع الناس فيمكث فى الأرض » ليس الشأن فى الهزائم والنكبات ولكن الشأن فى ثقة

الأمة بنفسها ، و اعتدادها بنفسها ، فى سلامة ضميرها فى وعيها لما يقع بين يديها ، و خلفها ، و عن يمينها و شمالها ، إن الأمة إذا فقدت هذا الوعى و إذا أصبحت لا تميز بين الصديق و العـــدو ، و إذا أصبحت لا تفرق بين هزيمة و فتح و انكسار و انتصار ، وإذا أصبحت لاتبغض العدو الخائن ، و لا تحب الصديق الناصح ، فانها تعادى نفسها و تحارب ذاتها ، وإنها فى سبيل الانتشار ، فهؤلاء قد جردونا من هذه الصلاحية من هذه الطاقـــة الكبرى التى كانت كامنة فى نفوسنا ، و بفضلها تحملنا هذه النكبات التى لونكبت بها أى أمة لطويت فى سجل الماضى، ولأصبحت أثرا بعد عين ، و لكن هذه الأمة التى استطاعت أن تتحمل النكبـات كلها بفضل الايمان العميق ، بفضل الوعى ، بفضل الثقة التى كانت تملكها فى كل دور من أدوار التـــاريخ ، إن الجيش المنهزم إذا لم يتجرد عن الثقة إذا لم يحرم الايمان إذا لم يتجرد عن الدوافع القوية الشريفـــة التى يخلقها الايمان التى تخلقها النبوة التى تخلقها التربية الايمانيـــة العميقة ، فان هذا الجيش سينتصر .. أما قرأتم قصة غزوة حمراء الأسد ؟ لمارجع المسلمون من أحد وهم مثخنون بالجراح ، لم ينفضوا عنهم غبار ميـــدان الحرب بعد و فى هذه الساعة العصيبة يأمرهم الرسول بملاحقـة قريش ، و هى فى أوج زهوها و نشوتها بالانتصار ، لو كان أى جيش فى العالم بهذه الجراح التى قد عمت أجسامهم والتى قدكسرت خواطرهم لمااستطاع أن يعيد الكرة . و لكنهم عادوا ليقاوموا قريشاً مرة ثانيـة ، و إن لم يتحقق ذلك ، فقد رجعت قريش على أعقابها .

إن الشعوب الأوربية الآن تريد أن تجرد الشعوب الاسلامية من

هذه الجمرات الايمانية ، من هذه الكوانين التى ظلت تلتهب و تشتعل ، إنها قد وضعت أصبعها على موضع الخطر ، إنها أصمت رميتها و أصابتنا فى المقتل . ليس مقتلنا فى هذا اللباس الذى نلبسه و نخلع ، ليس مقتلنا هـــذا الطعـام الذى نصيبه و نأكلـــه ، ليس مقتلنا هـــذا الحلقوم ، لا . مقتلنا فى القلوب ، مقتلنا فى الأرواح ، فاذا أصاب العـــدو فى مقتلنا فانه قـــد أصاب ، إنه قد نجح ، إن هؤلاء القـادة يريدون أن يجردوا الشعوب الاسلامية من الايمان ، من الثقـة ، من التقوى ، من التمسك بالفضيلة من قوة إنكار المنكر ، و الأمر بالمعروف ، من الاستقامة الخلقيـة ، اسمعوا إلى هذه البرامج التى تذاع فى هذه الشعوب ، ما رسالة هذه الاذاعات ، ما رسالة هـــذه المقـالات الماجنـة التى تنشر . ما غرض هـــذا التشكيك فى التـاريخ الاسلامى ، التشكيك فى نزاهة هؤلاء الفاتحين الذين ماعرف التاريخ الانسانى أفضل منهم وأكثر نزاهة منهم .

الدرس الثـــالث

إن الدرس الثالث — أيها الاخوان — هو أننا علمنا من هـــذه الحوادث أن هنالك خطأ فى حياتنا ، و أننـا يجب علينا فى أول فرصة أن نبحث عن هذا الخطأ ، أنه ما دام هناك خطأ و ما دام هناك منفذ ينفذ منه الماء فلا بقاء للسفينة ، : إن مثل هـــذه الشعوب و القيـادات كمثل جماعة ركبت سفينة و كان فى هذه السفينة ثقب يدخل منـــه المـاء فتشاغلوا بحماية هـــذه السفينة من قرصان البحر عن سد هذا الثقب ، فما مصير هذه السفينة ، هذه السفينة الشفية بأهلها ؟ إن مصير هذه

السفينة أنها تغرق فى أول ساعة ، و لكن الواقع أن هـذا الثقب الذى كان يفور منه الماء قد أهملوه وتشاغلوا بحديث القراصنة الخياليين الذين كانوا قد سمعوا عنهم شيئاً كثيراً .

إن فى حياتنا مواضع ضعف — أيها الاخوان — فلماذا لا نرجع إلى حياتنا و نصلحها إذا فسدت ساعتنا فأصبحت غير مضبوطة فلا نلبث أن نقدمها إلى ساعاتى حاذق ليصلحها ، و تكون مضبوطة مستقيمة ، إن سيارتنا إذا تعطلت فى الطريق ، وماقيمة سيارة واحدة ؟ فاننا لانستريح حتى نصلحها ، و ما هى الخسارة التى تتحملها بتعطل هذه السيارة نترك هذه السيارة و نأخذ سيارة أخرى ، هنـالك زملاءنا ، هنـالك خط ، هنالك المشى على الأقدام فاذا لم نستطع أن نصلح هذه السيارة بأنفسنا نقدمها إلى مصنع ، إذا كنا نعرف لساعاتنا التى نشتريها اليوم و نتركها غداً ، التى تتحطم و تضيع ، و هذه السيارات التى لا تشتغل إلا سنتين أو ثلاث سنوات ، و لكن هذه السيارات إذا تعطلت تشغلنا ولاتتركنا حتى تصلح ، أفحياتنا أقل قيمة و فضلا من ساعة عادية تفيض بها الأسواق ، و عن سيارة عادية تزخر بها المصانع و الشركات .

فهل يجوز لنا — أيهـا الاخوان — أن نترك حياتنا فى خطر ، و فيها ثقوب كثيرة ، و فيها منافذ كثيرة يدخل منها المـاء ، و تغرق هذه السفينة التى ركبناها ، هل يجوز لنا هذا ؟

ادرسوا التاريخ ، تاريخ الحكومات ، تاريخ المجتمعات الانسانية ، تقوم هذه المجتمعات و تنهض هذه الأسر فتوسس دولا قوية و يغلب عليها الجد و الصرامـة ، و الفروسية و التقشف فى الحياة ثم يسرى

الوهن ، و يدب الفساد فى عروق هـذه الأسر فتسترسل فى الشهوات تسترسل فى الأهواء تسترسل فى كثرة أدوات التسلية والترفيه ، موسيقى ، غناء ، راقصات ، صور ، مما يرضى الغريزة الجنسية ، هـذا تاريخ جميع الشعوب التى مثلت فى تاريخ الحكم والسيادة دوراً رائعاً ، هذا الحكم ينطبق على جميع البشر ، بداية تاريخها اللعب بالسيف و السنان ، و نهايته الطنبور و آلات الغناء وكما يقول الدكتور محمـد اقبال فى شعر له) هذه قصة كل حكومة ، فاذا دب الفساد فى هذه الشعوب و المجتمعات ، و فى هذا الشعب الحاكم و انغمس فى الملذات ، فى الغناء و فضل الهزل على الجد و التسلية على الرجولة ، و الترفيه على البطولة ، و العصاميـة و الثبـات فى الميدان و انغمس فى الملذات انغماسا زائداً ، فـاذا كان مصير هذا الشعب الحاكم القوى الذكى ، اقرأوا كتب التاريخ المعاصرة للدولة العباسية و غارة التتار تباهوا فى البنيان ، توسعوا فى المطاعم و المشارب ، اشتغلوا باللهو و اللعب ، اشتغلوا بما لا ينفع ، و ضيعوا الصلوات واستغرقوا فى المعازف والقينات وأخلدوا إلى الراحة والترف ، و قللوا الجيش ماذا كانت عاقبة ذلك ؟ جاء التتـار كالجراد المنتشر من أقصى الشرق ، من قراقورم ، فـاذا فعلوا فى بغداد هذه قصة نعرفها جميعـاً .

و هذه قصة الدولة المغولية التى حكمت أربعة قرون تقريباً حكماً لا يوجد له نظير فى تاريخ الهند ، حكمت الهند من أقصاها إلى أقصاها .. و أخضعت جميع العناصر القوية للحكم المغولى المسلم لما أصاب هذه الدولة الهرم فأصبح الملوك والأمراء لا فرصة لهم من المسليات وأدوات

الترفيه و الاشتغال بالغناء و الترف ، جاء نادر شاه الذى أسس دولة فتية فى إيران ، و هجم على الهند بجيشه الصغير الذى لا يجد مدداً و لا تموينا ، وكان محاطاً بجميع العناصر و الجيوش و القوات الهندية و الوطنية و لكنه كان شديداً وكان متقشفاً و بالعكس من ذلك فقد كان محمد شاه الامبراطور المغولى الذى يسميه أهل الهند بالرجل الرقيق اللين فطلع محمد شاه لما بلغه زحف نادر شاه على بعض سطوحه وأنشد بيتاً معناه : « إن شؤم أعمالنا و انغماسنا فى الملذات و الشهوات جاء بنادر أن شؤم أعمالنا قد ظهر فى الشكل النادر يعنى فى الشكل البديع .

إخوانى ! يجب علينا أن نتلمس هذا الخطأ ، نبحث عنه فى حياتنا ، هذه الحياة الرخية الناعمة ، هذه الحياة الواهية المترفة ، هذه الحياة الملتهية التى تعتمد فى أكثر ما تعتمد على الترفيه و التسلية ، هذه الحياة لا تستطيع أن تقاوم أى خطر ، أى قسوة ، أى شئ جديد ، ليس فى إمكان هذه الحياة ، و لم يكن فى إمكانها فى كل فترة من فترات التاريخ أن تقاوم أى غارة من الخارج ، و أن تتحمل أى شدة ، و أن تؤدى رسالتها ، و أن تحافظ على سلامة أصحابها و على شرفهم ، إنه أكبر خطر ، إن انحدارنا إلى هذا المنحدر الخلق بخطى سريعة ، و بسير متواصل مستمر لا ينقطع و لا يتوقف ، إنه أكبر خطر علينا نعم إن انتصار العرب الأولين على الرومان و الفرس إنما كان بفضل الايمان ، أنا أؤمن بهذا قبل كل أحد ، و لكننى أقول لكم : إن من جملة أسباب الانتصار التقشف فى الحياة ، « اخشوشنوا و اخلولقوا ، و انزوا على

الخيل نزوا » هذه وصية عمر بن الخطاب رضى الله عنه المربى الأكبر لهذه الأمة بعد نبيها ﷺ ، أين هذا التقشف فى حياتنا ؟ . .

أنتم أيها العرب علمتم الشعوب الشرقية التقشف فى الحياة ، كانت حياتكم المثل الكامل فى الزهادة ، فى التقشف فى تحمل الشدائد ، فى الفروسية الفروسية العربية كانت مضرب المثل . أين الخيل ! إننا نأتى من الهند فنبقى تواقين إلى رؤية الخيل الجياد العتاق ، التى نقرأ عنها الشئ الكثير فى ديوان الحماسة ، نقرأ عنها الشئ الكثير فى شعر العرب وأيامهم ، وفى الحديث النبوى والسيرة النبوية ، إننا لانستطيع أن نمشى فى الشمس ، إننا لانستطيع أن نمشى مسافة قصيرة على الأقدام ، إننا لا نستطيع أن نتحمل أى جد ، هذا سماحة المفتى أمين الحسينى بين ظهرانيكم (١) ، اسألوه عن شباب اليهود ، إن المفروض على الشباب الجامعى أن يقطع مسافة كذا وكذا فى كل إجازة سنوية عندهم ، المشى على الأقدام ، المشى فى الشمس ، هؤلاء اليهود الذين كانوا مثلا فى الرقة و النعومة فى التاريخ القديم ، الآن انعكست الآية ، إن هذه الملاهى من طبيعتها التخاذل والخذلان ، من طبيعتها الاخلاد إلى الراحة ، من طبيعتها الانهزام ، هذه طبيعة الملاهى ، فيجب علينا أن نتلمس الأسباب التى ذكرها القرآن ، و أخبر بها النبى ﷺ ، و عض عليها بالنواجذ القادة المسلمون ، هذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : إننى لا أخاف كثرة العدد و قلته إننى أخاف من الذنوب ، و يقول عمر بن عبد العزيز فى عهد كتبه إلى قواده : « إنما تعادى عدونا و ننصر عليهم بمعصيتهم ، و لو لا ذلك لم يكن لنا قوة

(١) كان أحد الذين حضروا حفل ثانوية طيبة .

بهم لأن عددنا ليس كعددهم ، و لا عدتنا كعـدتهم ، فلو استوينا نحن و هم فى العصبية كانوا أفضل منا فى القوة و العدد ، فاننا لا ننصر عليهم بحقنا لا نغلبهم بقوتنا ، و لا تكونوا لعداوة أحد من الناس أجذر منكم لذنوبكم » .

⁂ عوامـل النصر ⁂

هذا هو الفقه القرآنى و هذا هو الفقـه الاسلامى الذى يجب أن نأخذ به ، و نستأنف حياتنا من جديد ، و نتلمس فيها هـذه الأدواء الكامنة ، و هذه العيوب الدفينة فى هذه الحياة ، و نرجع إلى من يعالجها بالطب القرآنى ، بالطب النبوى ، نبتعد عن الملاهى ، ونأخـذ بالتقشف : إننى أمر فى طرقات المدينة ، هذه الطرقات التى كانت دائماً تدوى بتلاوة القرآن دوى كدوى النحل ، هذه مدينة النبى ﷺ التى كانت قدوة للعالم الاسلامى كله ، وازدانت بالتقوى والتقشف فى الحياة ، إنه لاذنب على أحد ، الذنب علينا أيها الاخوان ، نحن تنحدر بأقدامنـا إلى الهوة السحيقة التى لا قرار لها ، وكل أمة بدأت تنحدر إلى هذه الهوة فانهـا لا يساعدها أحد ، إن المعول على القلوب ، وعلى الضمائر، وعلى السواعد القوية ، و المعول على الروح الواعية ، هذه ثروة الأمـم ، الايمـان ، الثقة بالله ، ثم الثقة بالنفس ثم حياة التقشف ، ثم الفضيلة والتقوى ثم الزهد فى حطام الدنيـا .

إن العرب الأولين الذين فتحوا العالم كانوا يقضون ليلهم ونهـارهم فى جد و صرامة كانوا يبقون على متون الخيل ساعات طوالا ، يتبلغون ببلغة من العيش ، بكسرة من الخبز هم بالليل رهبان و بالنهـار فرسان ،

أين الرهبان ، أين الفرسان ، يا ليتنا كنا فرسانا بالنهـار إذا لم نكن رهباناً بالليل ، إن المتوقع منا أن نجمع بين الفروسية والعبادة ، ولكن لا رهبان ولا فرسان ، ثم نرجو من الله أن يعاملنا بما عامل به أولئك الذين جمعوا بين عبـادة الليل و فروسية الخيل ، و بين القنوت الطويل و بين الخشوع و بين الدموع المنحدرة على الخـدود « تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً و طمعاً و مما رزقناهم ينفقون » « قليلا من الليل ما يهجعون » إذا كانوا على متون الخيل كانوا أبطالا و إذا كانوا فى المحراب كانوا خاشعين أمام ربهم ، كأنهم لاشأن لهم بالفروسية ، و لا شأن لهم بالجلادة .

إننى قد أطلت عليكم ، و لكن المكروب الذى يشعر بألم نفسى لا يشعر بلذة إلا فى الحديث مع إخوانه ، فدعونى أنفس عن كربتى ، و دعونى أضع أمامكم قلبى الجريح ، أين أنتم أيها العرب ، يا أساتذتنـا يا مرشدينا ، يا أئمة المسلمين ، يا أهل مدينة الرسول ﷺ هـذا مهد الاسلام هنا نشأ الاسلام و ترعرع ، و هنا وقف على أقدامه ، و من هنا سعى ، و من هنا انطلقت موجته ، أنتم لنا القدوة الدائمـة ، إننا لا نتركم ، إننـا نحاسبكم محاسبة التلاميذ للأساتذة ، نعم قد يحاسب التلاميذ الأساتذة و فيه مفخرة للأساتذة ، إذا نبغ تلميـذ يستطيع أن يحاسب الأستاذ ، هذا شرف للأستاذ أننا تلاميذكم الدائمون ، كتبت لنا التلمذة ، و لكم الأستاذية .

اسمحوا لنا أن نقول لكم كتلاميذ ، اسمعوا منا كأساتذة ، أنتم القدوة الدائمة للمسلمين ، منكم نستمد هذه القوة التى استطعنا بها مقاومة

هذه الاغراءات التى لو ابتليت بها أى أمة من أمم الأرض بدون هذا الايمان لما استطاعت أن تقاوم هذه الهزات العنيفة ، فنحن تلاميذ و الحمد لله تلاميذ نجباء و أنتم دائماً الأساتذة البارعون يخرجون التلاميذ النجباء الامناء الذين يحاسبون نفوسهم و يحاسبون قادتهم و أساتذتهم .

لقد أطلت عليكم كثيراً — أيها الاخوان — و إن فى النفس لبقية وخير أن تبقى هذه البقية ، ولكن أقول لكم يجب علينا أن نتلقى الدروس و لو كانت قاسية ، نتلقى الدروس الحكيمة من هذه الحوادث الأخيرة التى أدينا قيمتها ، هذه القيمة الباهظة ، من إيماننا و شرفنا و كرامتنا و كرامة التاريخ الاسلامى ، إن هنالك عوضاً واحداً عن هذه الخسارة الفادحة التى فوجئنا بها ، فى هذا الزمن الأخير ، و هو أن نتلقى هذه الدروس ، و أن نعتقد أن هذه القيادات قد أخفقت الاخفاق الذى لا إخفاق بعده ، و أن هؤلاء الأنانيين لم يخدموا الأمة و لم يخدموا بلادهم ، و لم تجد منهم البلاد إلا شقاءا و بلاء ، و عذاباً و نكالا .

فلننظر أخيراً إلى حياتنا ، و لنصلح هذا الخطأ ، هذه هى الكلمة الأخيرة — أيها الاخوان — و أرجو أن تسامحونى إذا كنت قاسياً أكثر من الضرورة إنما دفعنى إلى ذلك الحب والاخلاص ، والمشاركة فى جميع ما تقاسون فى هذه الأرض ، فأرجو أن لا تحملوها إلا محملا طيباً . فان فى صلاحكم صلاح الأمة ، و فى شقائكم شقاء الأمة كلها .

و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته .

الفضاء . . . . و السماء

★○○○○○○○○○○○○○○○★

« سنريهم آياتنا فى الآفاق و فى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أو لم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد » صدق الله العظيم .

فى هذه الأيام يكثر الحديث عن الفضاء ، فلا بد أن يتذكر الناس السماء ، و يذكروا التفرقة بين « الفضاء » الذى يوحى لبعضهم بمعنى الفراغ — و بين « السماء » التى توحى لنا بمعانى السمو و الاستعلاء ، إن الذين يظنون أن فى الكون فراغاً إنما يجدون الفراغ و يحسونه فى أنفسهم الخاوية من الايمان بالله خالق الكون و مسيره ومدبره ، و إن نفوسهم لتحمل معها فراغا حيثما ذهبت وأينما سارت ، كما تحمل الأجسام البشرية معها « ميكروبات » الانفلونزا « و فضلات الطعام والشراب — حتى عند اجتيازها للآفاق و صعودها فى « الفضاء » .

أما من غمر قلبه بالايمان بالله الخالق البارئ المصور ، فانه لا يرى الكون حيثما كان إلا مليئاً بآيات العظمة الالهية . و لا يرى فضاء مهما ارتفعت به الأسباب . بل يزيده السير فى الآفاق تعميقاً لايمانه ، و تثبيتاً لعقيدته السماوية ، و شعوراً بالسمو كلما أسلم وجهه لله الواحد القهار ، مبدع الكون بأراضيه و سماواته ، و كواكبه و أفلاكه و كائناته و مخلوقاته .

من أجل ذلك فاننا نحن المؤمنين بالله أشد الناس ابتهاجاً بما تحققه البشرية من نجاح فى كشف أسرار الكون ، و الطواف فى أفلاكه ،

أو الوصول إلى كواكبه ، لأننا نوقن بأن هذه الخطوات سوف تثبت دعائم الايمان ، و تقوى موجباته ، و تزيد المؤمنين يقينا و ثباتاً ، و تزيدنا اعتزازاً برسالة السماء منبع السمو ومصدر استعلاء بنى الانسان بنعمة الله عليهم إذ استخلفهم فى الأرض ، و حملهم الأمانة التى أشفقت منها السماوات و الأرض و الجبال و أبين أن يحملنها ، وحملها الانسان فاذا أثبت جدارته بتلك الأمانة استحق تكريم الله سبحانه ، مصداقاً لقوله تعالى : « و لقد كرمنا بنى آدم و حملناهم فى البر و البحر ورزقناهم من الطيبات ، و فضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا »

و لكى يكون الانسان جديراً بالأمانة التى حملها له الله سبحانه و تعالى ، يجب أن يكون حريصاً على ما أكرمه الله به من قدرة على الترفع من قوانين الغلبة و عدوان القوى على الضعيف التى تسير عليها وحوش الغابات و تتميز بها طباع الحيوانات — ويجب أن يكون معتزاً بخصائصه الروحية و الخلقية التى تمكنه من ترفيع غرائزه و التحكم فى أهوائه و السيطرة على شهواته و نزواته ، مهتديا بنور الهداية السماوية و الرسالات الدينية التى تنمى فيه تلك الخصائص الروحية و الخلقية ، و ترسم له طريق السمو والاستعلاء .

ينتهى بهذا العدد المجلد الثالث عشر ويصدر العدد الأول للمجلد الرابع عشر فى غرة جمادى الثانية باذن الله ، فلا يترقب القراء المجلة فى شهر جمادى الأولى .

Phone 22948 Regd. No. L. 1692

ALBAAS-EL-ISLAMI

Nadwatul Ulama, Lucknow.(India)

المسلمون و قضية فلسطين

يصدر قريباً

بقلم : سماحة الأستاذ السيد أبي الحسن على الحسنى الندوى

قد سبق لمؤلف هذا الكتاب أن يبحث فى هذا الموضوع قبل وقوع هـذه المأساة فى شكلها النهائى بعدة سنين و جرت على قلمه و على لسانه بعض الحقائق التى تحققت فيما بعد ، ثم وقعت الواقعة فجعلها موضوع تفكيره و بحثه و كتاباته . حاول فيها أن يكون كل ذلك تصويراً للواقع من غير مبالغة و صناعة ، و من غير تفاؤل وتشاؤم

أضاف إليها مقالا ضافياً جديداً كخاتمه الكتاب تحت عنوان

الفتح للعرب المسلمين .

أشاد فيـه بكفاءة العرب المسلمين و مواهبهم و تنبأ فيه بالفتح المبين لهذه الأمة الخالدة التى خرجت من كل معركة ظافرة منتصرة ، رافعة الهامة ، موفورة الكرامة ، و ستخرج باذن الله من غمار هذه المعركة الدائرة كما خرجت فى الماضى ، وانهم لهم المنصورون و إن جندنا لهم الغالبون .

الناشر

الدار الكويتية للطباعة و النشر الكويت

Printed by S. M. HASANI at Nadwa Press, LUCKNOW.